الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية تخصص انثروبولوجيا التنمية

مساهمة الحلي التقليدية في التنمية

بمنطقة تلمسان

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في أنثروبولوجيا التنمية

من إعداد الطالبة:

قدور فريدة

تحت إشراف الأستاذ :

د: بوحسون العربي

لجنة المناقشة:

-أ.د معروف بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيســـــــا
-د.بوحسون العربي	أستاذ محاضـــر" أ "	جامعة تلمسان	مشرفا ومقرراً
-د.زرقة فايزة	أستاذة محاضرة" أ "	جامعة تلمسان	عضـــــواً
-د.بلباد الغالي	أستاذ محاضر " ب"	جامعة تلمسان	عضـــــواً

السنة الجامعية: 2011 -2012

شـكر وتقـدير

أتقدم بشـكر الجزيل إلى الأسـتاذ المشـرف الدكتور بوحسـون العربي الذي سـاعدني وقدم لي يد العون ولم يبخل علي بنصائحه خلال فترة بحثي .

ولا أنسـى كل من سـاهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع .

الإهـــــــــداء

إلى أبي .....

إلى أمي.....

إلى زوجي.....

وإلى كل أفراد عائلتي .....

إلى كل أفراد عائلة زوجي.....

مقدمة:

أدى تطور الحياة بمنطقة تلمسان إلى تواجد الكثير من الحرف والصناعات ومنها صناعة الحلي . فكان تعلق الناس بالتجميل والمظهر الحسن دور كبير في تطور هذه الحرفة ، فكثير من هذه الحلي والجواهر كانت تداعب القلب بجمال شكلها وجودة مادتها وتبهر العين ببريقها وزهو ألوانها وتجلب الأنظار في مهارة صنعها فتقلدوا بها وتزينوا بها .

فقد تواجدت حرفة صناعة الحلي والمجوهرات على أنواعها وإنتشرت في المدينة العريقة "تلمسان" وتطورت تقنياتها ومهاراتها .

وإستخدمصائغوها في صناعة حليهم المواد المتنوعة الثمينة منها والعادية من معادن وأحجار كريمة وشبه كريمة وزجاج وعاج وعظم ومرجان وطين أحيانا.

فمن المعادن إستخدموا الذهب والفضة والبرونز والحديد والرصاص ومن الحجارة الكريمة وشبه الكريمة والبلورية نجد الفيروز واللازورد الصفير والسيع والعقيق والمرو واليشب والمرجان والياقوت واللؤلؤ وغيرها.فقد جذبهم جمال شكلها وزهو ألوانها وندرتها المتميزة. فكانت تستجيب لرغبات الناس وأذواقهم ولهذا كانت غالية الثمن ويستحوذ عليها كبار القوم وأغنياؤهم .

فالجواهر كانت محبوبة لدى الناس ومنذ القدم سواء رجالا أو نساءا وهذا لما تحمله من قيمة مالية وجمالية وأحيانا لها قيمة روحية ومعنوية وهذا عندما تحمل شخصيات أو رموز دينية أوطلاسم ترمز للحماية لتكون تميمة لها قوة خفية فهي تتعدى هنا حدود المادة لتصل للعوالم الأخرى .بحيث تبقى متخذة على الأعناق والصدور لا تغادر أصحابها طيلة الحياة بل ترافقهم أيضا إلى المثوى الأخير وهذا ما يفسر وجود

بعض المجوهرات والحلي ضمن الأثاث الجنائزي في القبور. وإننا في هذه الدراسة أثرنا أن نوجهها ونحصرها في هذا المجال آلا وهو مساهمة الحلي التقليدية في التنمية المستدامة بمنطقة تلمسان ، محاولين أن نستل وشاحالتناسي عن هذه الصناعة وبعدها التنموي والرمزي والتاريخي .

1) أسباب إختيار الموضوع:

لقد إشتهرت منطقة تلمسان منذ القدم ببعض الحرف والصناعات اليدوية والتقليدية لا تزال تحمل إسم بعض الشوارع إلى يومنا هذا .

وقد إستغل سكان المنطقة مهاراتهم وقدراتهم الإبداعية في ممارسة الكثير من هذه الحرف داخل حوانيتهم بالأسواق العامة وحتى في البيوت لدى بعض النساء وكان منهم النجارون والحدادون وصناع الفخار وصناع الزرابي والصاغة ....الخ ، من الصناعات المتنوعة التي عرفت بالمنطقة . وهذا من أجل تغطية حاجاتهم وإيجاد مورد رزق من جهة أخرى .

وهذا التنوع في التراث الشعبي التلمساني هو الذي شدنا للخوض في البحث في هذا المجال ، وراء دوافع ذاتية وأخرى موضوعية :

تتلخص مجملها في النقاط التالية:

– فأما الذاتية فتتمثل في كوني أنتمي إلى المجال النسوي ومن المعروف والبديهي مدى إهتمام المرأة بهذا النوع من الحرف وخاصة الحلي الذهبية والفضية .

– أما الموضوعية : فقد أردنا تسليط الضوء على مثل هذه المواضيع لأنه من خلال ملاحظتنا أنه لم يحض بالإهتمام الكافي من قبل الباحثين حيث نجد معظمهم ركزوا في بحوثهم الأكاديمية على صناعات تقليدية أخرى خاصة بمنطقة عريقة كمدينة تلمسان وإهتمامهم بمجال الحلي التقليدية كان سطحيا ينقصه تعمق علمي ومعرفي.
لأجل هذا نحاول التعمق بالبحث والتفسير للمعلومات التي نسعى إلى جمعها بواسطة أدوات بحث ميدانية ذات أهمية أنثروبولوجياوكذلك محاولة بعث وإحياء هذا النوع من القطاعات التقليدية وإعطاء الصورة الحقيقية له.
بالإضافة إلى هذا كله محاولة إعادة الإعتبار لهذا النوع من الصناعات التقليدية والتعريف بها خاصة وأنها تشكل إرثا ثقافيا قيما بدأ في الإندثار .

2)أهمية الموضوع:

أ)تنبع أهمية الدراسة من الأهمية التي أعطيت للحرفة في حد ذاتها خلال الآونة الآخيرة من طرف السلطات والتي تعمل على إدماج هذا النشاط بصفة حيوية وأكثر وضوحا في التنمية الإقتصادية .
ب) إبراز الآثار الإيجابية لهذه الحرفة على الإقتصادسواءا من ناحية تدفق رؤوس الأموال والتخفيف من معدل البطالة ورفع الإستثمار .

3)أهداف البحث:

إن الغرض من هذا البحث لا يخرج حقيقة الآمر عن كونه محاولة لتحقيق الأهداف التالية:

– توضيح المركز الحساس لهذه الحرفة على النمو الإقتصادي .
– إبراز أهمية و دور هذه الصناعات في ترقية الإقتصاد.
– إظهار ما بقي من حلي هذه المنطقة لإستعمالاته ووظائفه المختلفة .

4)الدراسات السابقة:

يقال" ليس هناك صفر في المعرفة العلمية [1]" وأن العلم تراكميإذ كل بحث أو نظرية تقدم للتي تليها على أن تكون الثانية تنطلق مما إنتهتإليه الأولى وموضوعنا هذا المتمثل في الحلي التقليدية كان له هذا الأخير دراسات سابقة ساعدتنا في تكوين إطار نظري للبحث ولو أنه لا توجد دراسات مطابقة لموضوع مساهمة الحلي التقليدية في التنمية المستدامة بمنطقة تلمسان. لأن الحلي التقليدية الخاص بالمنطقة لم يعطىله حظا وافراًمن الدراسات والتي إن وجدت تكون سطحية وغير شاملة . في مقابله نجد الحلي القبائلي والحلي منطقة الطوارق أخذ نصيبه من قبل الباحثين في هذا المجال.وهذا من خلال الدراسات التي قامت بها الباحثة فريدة بن ونيش[2] حول موضوع الحلي والمجوهرات في الجزائر حيث أعطت ووضحت الباحثة نقطة أساسية كانت خفية لدى الناس وهي الأهمية الأنثروبولوجيا والإقتصادية للمجوهرات وماتحمله هذه الأخيرة من رموز خفية ومعتقدات شعبية ظلت تتماشى معنا منذ القدم.

بالإضافة إلى الدراسة التي قامت بها الباحثة نجد بعض الدراسات الأكاديمية التي قام بها بعض طلبة الماجستير حول موضوع الحلي . فمنها الحلي التقليدية لطوارق الهقار[3] التي تحدث فيها الطالب عن هذه المنطقة والحلي الخاص بهذه المنطقة الذي يختلف عن المناطق الأخرى من البلاد ولكل حلي رمز معنوي وطريقة صنع تختلف بموادها وأدوات تجهيزها وحتى المناسباتالتي تلبس فيها هذه الحلي حيث توصلالباحث في الآخير إلى الأهمية الإقتصاديةوالأنثروبولوجية للحلي الطوارق ودور التنموي الذي تلعبه في إقتصاد البلاد .

---

1)سامية ، محمد جابر. الفكر الإجتماعي ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط1، سنة1989 ، ص94.

2)فريدة بن ونيش ، المجوهرات والحلي في الجزائر ، فن وثقافة ، وزارة الإعلام الجزائر ،ط2، سنة1982.

3)بن عبد الله ، نور الدين ، الحلي التقليدية لطوارق الهقار ، شهادة الماجيستير فرع الفنون ،تلمسان، سنة 2001/2000.

ففي مقابل هذا نجد دراسة أخرى قامت بها الطالبة آيت محند نورية[1]التي إقتصر بحثها على صناعة الحلي الفضية بالقبائل الكبرى هذه المنطقة التي إشتهرت بعادات وتقاليدها الراسخة على يومنا هذا . ولا يخفى عند الجميع أن هذه المنطقة تشتهر بمادة الفضية الغالبة على الحلي الذهبية التي تجسد عادات وتقاليد المنطقة والمعتقدات الخاصة بكل حلي ترتديه المرأة القبائلية فنجد على سبيل المثال "الثابزيمت" وهي عبارة عن حلبة دائرية الشكل بها 8 دوائر صغيرة ، 4 مزينة بطلاء الميناء ، 4 مزينة بالمرجان تضعها المرأة القبائلية عند إنجابها الولد دليل على القوة وقيادة وتوضع في الجبهة .

بالإضافة إلى حليات أخرى لها معاني ومعتقدات خاص بها .

5)الإشكالية:

إن موضوع التنمية المستدامة أو التطور الدائم مع التفكير في الأجيال اللاحقة موضوع تتجاذبه أطراف كثيرة ، فمن هؤلاء من يحاول الحديث عن مساهمة الإنفتاح على الخارج من خلال الإستثمارات الأجنبية والإستثمارة من خبرات الآخرين من أجل التنمية مستدامة ، بينما يحاول آخرون الحديث عن إستغلال التراث الداخلي من أجل هذه التنمية . ومن هؤلاء هذه الدراسة التي تحاول الإجابة عن التساؤل التالي:

– هل يساهم التراث المحلي وبالخصوص صناعة الحلي التقليدية في التنمية المستدامة للمنطقة ؟

6)الفرضية:

– يعتبر الحلي التقليدية مرآة صادقة تعكس واقع الشعوب وتاريخها وعاداتها وتقاليدها، كما يعد سفيرا دائما لدى شعوب العالم . وفي هذا البحث الخاص بحلي منطقة تلمسان حددنا فرضيتنا الوحيدة على الشكل التالي:

---

1)آيت محند، نورية ، صناعة الحلي القبائلية الكبرى بمنطقة بني يني ، شهادة الماجيستير فرع فنون ، تلمسان ، سنة 2003/2002 .

– تعكس حلي منطقة تلمسان الخصوصية الثقافية وإجتماعية لسكان المنطقة ، وهذا فضلا عن مساهمتهما الفعالة في التنمية الإقتصادية .

– كما أن تضافر كلا من العوامل الإقتصادية والإجتماعية والثقافية هي التي تحدد لنا مساهمة هذه الحرفة في تنمية المجتمع العريق كمجتمع التلمساني الذي لا يزال يحافظ على عاداته وتقاليده .

7) المفاهيم النظرية:

أ) تعريف التنمية: هي عملية تغير البنية الإقتصاديةوالإجتماعية والثقافية للمجتمع تسعى أساسا لرفع مستوى السكان في كافة الجوانب أي أن التنمية يقصد بها الإرتقاء الحقيقي للمواطن بما يعنيه ذلك لزيادة في دخله مصحوبه بتطوير إجابي في سلوكيات ومفاهيمه وتصرفاته .

ب) التنمية المستدامة: أو المتواصلة أو المطردة .

يقصد بها بصورة عامة الإهتمام لاحتياجات الأجيال القادمة عند احداث التنمية وليس مجرد حاجات الجيل الحاضر كما أنها تشمل على ضرورة المحافظة على البيئة وعدم تلويثها .

8)منهج البحث:

ولمعرفة مدى صحة وخطأ هذه الفرضيات كان لزاما علينا الخوض في البحث والتنقيب ، معتمدين في ذلك على منهج علمي موزع حسب ماتتطلبه وتفرضه طبيعة البحث .

فأول صنف من تلك المناهج يظهر للقارئ جليا خلال الفصول الأول والثاني والثالث ألا وهو المنهج التاريخي الذي يتجلى في تتبع ظواهر تاريخية إنعكست من خلال أحداث ووقائع مثبته في التاريخ ومسجلة في المصادر التاريخية للتعرف على

جزئياتها ثم تحليلها لمعرفة مدى تناسقها مع حركة التاريخ ، فمهما كان الشكل الذي يتخذه البحث التاريخي فهو في مضمونه بحث في الماضي والتعمق فيه ومعرفة الحقائق العلمية المرتبطة به وتفسيرها بهدف فهم ومعرفة الماضي من جهة ومحاولة لصياغة الحاضر والمستقبل على ضوء التجارب التاريخية من جهة أخرى .

لم يقتصر الإعتماد في هذا البحث على المنهج التاريخي فحسب بل تطلبت منا طبيعة الموضوع الدراسة الوصفية في الفصل الثالث التي تهدف للتعريف بأنواع الحلي المختلفة .

ويجرنا الحديث الآن عن أدوات البحث العلمي أو كما يحلو للبعض تسميتها تقنيات البحث العلمي التي تساعد الباحث على جمع البراهين والآدلة اللازمة لإختيار صحة فروضه .

ومن بين هذه الأدوات التي إعتمدنا عليها في بحثنا هذا الملاحظة بكافة أنواعها والمقابلة كآدات أساسية لجمع البيانات .

9) مجتمع البحث:

وبعد التطرق لمناهج البحث المعتمدة في هذا البحث وجب علينا تحديد مجتمع الدراسة آلا وهو منطقة تلمسان الذي تضمن عينة بحثنا المتمثلة في خمسة عشرة (15) حرفي .

أما عن المجال المكاني والزماني التي جرت فيه هذه الدراسة فكان بمنطقة تلمسان وصادف هذا البحث المتواضع دخول تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية الذي زاد من رونقة البحث .

10) خطة البحث:

بعد هذه الإطلالات على مختلف جوانب البحث لم يبق أمامنا إلا عرض مراحل هذا البحث الموسوم بـ:

"مساهمة الحلي التقليدية في التنمية المستدامة بمنطقة تلمسان"، للإجابة على هذه الإشكالية قمنا بتقسيم البحث على الشكل التالي:

بدأ البحث بالفصل الأول كان إفتتاحه بتمهيد تضمن الحديث عن الصناعات التقليدية من حيث الماهية وبعدها التفريق بين الصناعة المعدنية والصناعات الأخرى وبما أن الحلي التقليدية تعد ضمن الصناعات المعدنية لهذا تطرقنا إلى هذه الأخيرة وبعدها تحدثنا عن واقع الصناعات التقليدية المعاش حاليا لتوضيح للقارئ مكانة الصناعة التقليدية ضمن الصناعات الأخرى لنخرج في الأخير بأهم الصناعات التقليدية في الجزائر بصفة عامة.

لننتقل بعدها إلى الفصل الثاني الذي خصصناه لمدينة تلمسان معرجين إلى جانبها التاريخي الخاص بالمنطقة في المبحث الأول وأما عن المبحث الثاني فكان الحديث عن الصناعات الخاصة بالمنطقة والتركيز خاصة على جانب الحلي التقليدية ، تمهيدا منا للدخول إلى الفصل الثالث الذي أخذ مجراه هو الآخر في سياق الحلي التقليدية بصفة عامة والحلي التلمساني بصفة خاصة .

وماكان هذا إلا بداية منا للدخول في الفصل الرابع ، الذي جرنا الحديث فيه عن أهم العوامل المتدخلة في تحديد مساهمة الحلي التقليدية بمنطقة تلمسان .

وفي الأخير تطرقنا إلى الفصل الميداني ، كان الحديث فيه عن نظرة الحرفي إلى الحرفة ومدى مساهمتها في التنمية لنختم بحثنا بخاتمة عرضنا فيها أهم ما توصلت إليه دراستنا هاته .

جاء بعد هذه الخاتمة قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث والدراسة وفي النهاية ختمنا البحث بالملحق بما تضمنه من صور وأشكال لتختم المذكرة بفهرس البحث والملخص . ولعلنا قد وفقنا في إتباعنا للمراحل الموضوعية المتوخاة في كل بحث علمي ودراسة أكاديمية.

وفي الختام يمكن القول:

هذا ما إستطعنا الوصول إليه بعد جهد سابق بذلناه وكل ما نتمناه أن نكون قد وفينا هذا العمل حقه فإن فعلنا فهذا فضل منه تعالى وإن فشلنا فحسبها إننا بصدق حاولنا.

والله ولي التوفيق .

<u>الطالبة:</u> قدور فريدة

تمهيد:

تعتبر الصناعات التقليدية جزءا مهما في الحياة الثقافية الفنية المادية ضمن تراثنا الشعبي ، وإرتباطها الأزلي بمختلف أوجه الحياة المتنوعة والمتعددة جعلها تكتسب هذه الأهمية ، كما أنها تعد – وعلى كل عكس المهن الأخرى– من الصناعات العريقةوالقديمة التي مارسها ولا يزال يمارسها الإنسان ، إذا أنها تركت بصماتها الواضحة على كل حضارة عرفها الإنسان وهذا في عصور مختلفة وعبر مختلف الأوطان والأماكن .

ونظرا للظروف الطبيعية القاسية االتي كان يعيشها الإنسان والحاجة الملحة للدفاع عن نفسه وكذا بحثه الدائم والمستمر عن ما يسد رمقه ، جعله يهتدي– مع مرور الزمن– إلى إكتشاف ذكاء يديه ومهاراته الفنية وقدراته الإبداعية في ممارسة الكثير من الصناعات فتمكن من خلال إستغلاله الأمثل لخامات البيئية من إبتكار أدوات جديدة ساعدته على تحسين وتطوير تقنيات التصنيع التي مكنته من صنع كل الوسائل الكفيلة بإشباع حاجاته ورغباته وأن يحقق ما يصبو إليه ويتوخاه.

ومن هذا المنطلق ، يتبين لنا أن الإنسان كان ذو طبيعة حرفية (حرفي بطبعه)، بل كان محتما عليه أن يكون حرفيا ، حيث أنه تمكن في أولى مراحل حياته أن يزاوج بين قابلية الفعل والعمل وتصور الذكاء الخارق ، فقد إشتغل في البداية بالبجث عن مصادر ضمان العيش والشروط الضرورية لتحسين نمط حياته ، وذلك مزاوجة بين ماكان يلاحظه في محيطه وبيئته وماكان يفكر فيه وبين ماكان يصنعه بيده من أدوات تساعده على التخفيف من شقاء الأعمال التي ما فتئت تزداد – يوما بعد يوم–

تعقيدا وصعوبة ونتيجة للتحولات والتطورات التي طرأت على مختلف مجالات حياته والتي غيرت بالضرورة من أسلوب معيشته ، ومن هذا المنطلق إتخذها الكثير من الباحثين معيارا يقيسون بها إزدهار وتخلف الأمم والشعوب . فإبن خلدون قد ربطها – أي الصناعات التقليدية – بمعيار التطور العمراني ،إذ يقول في مقدمته:" وعلى مقدارعمران البلدان تكون جودة الصنائع"[1].

إن الصنائع عند إبن خلدون نوعان بسيطة ومركبة ، أما البسيط منها يختص بالضروريات وهو من ميزة العمران البدوي ، فهو الذي كتب قائلا:" لا يحتاج –أي العمران البدوي– من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل في الضرورات من نجار أو حداد أو خياط أو جزار أو حائك [2]، وأما المركب فيختص بالكماليات وهي من ميزة العمران الحضري ، يضيف قائلا:" وإذا زخر العمران وطلبت فيه الكمالات ، كان من جملتها التأنق في الصنائع وإستجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها ، مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله من خرازودباغ وجزار وصانع وأمثال ذلك .[3]

1)إبن خلدون . المقدمة ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر – الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، جزء الثاني ، ص483 .

2) المصدر نفسه، ص 483 .

3)المصدر نفسه، ص 483 .

ماهية الصناعات التقليدية:

إن طبيعة هذا البحث الذي يعتمد على الدراسة الميدانية أكثر مما يتم التركيز فيه على البحث المكتبي ، يجعل الإهتمام بهذا الجانب الأخير يقتصر على الأمور الأساسية فحسب .

وفي هذا المجال إذا أردنا تعريف الصناعة التقليدية فإننا سنستشف من خلال المصطلح أنه يحمل معنيين ، لكل منهما دلالته الخاصة به وهما معا يشكلان المفهموم لهذا المدلول: (صناعة) و(تقليد).

أما (الصناعة) فقد عرفها اللغويون القدماء أمثال "إبن منظور" في معجمه(لسان العرب) حين ذكر في مادة :" صَنَعَ : صَنَعَهُ ، يَصْنَعُهُ ، صُنْعًا فهو مَصْنُوعٌ وصُنْعٌ عمِلَهُ .... وإِصْطَنَعَهُ: إِتَخَذَهُ .... ويقال: إِصْطَنَعَ فُلاَنُ خَاتَمًا ،إذا سأل رجلا أن يَصْنَعَ له خاتما وإِسْتَصْنَعَ الشيء: دعا إلى صُنْعِهِ ....والْصِنَاعَةُ: حِرْفَةُ الْصَنَائِعْ وعَلَمَهُ الْصَنْعَةُ والْصِنَاعَةُ: مَا تَسْتَصْنِعُ مِنْ أَمْرٍ....[1]

ونجد في القواميس الحديثة :"صَنَعَ ، يَصْنَعُ ، إِصْنَعْ ،صُنْعًا الشيء:عَمَلَهُ....(صَنَعَ) صُنْعًا وصُنْعَةً ، فَرَسَهُ:أحسن القيام عليه ..... صَنَعَ :يَصْنَعُ ، صُنْعًا الْرَجُلُ: مهر في الْصُنْعِ فهو صَنِعٌ ....الْصُنْعُ هو الْعَمَلُ .....الْصُنْعُ هو كل ما صُنِعَ....(ج) أَصْنَاعُ الْصَنْعَةُ هي عَمَلْ الْصَنَائِعْ –حرفته ....(و) الْصِنَاعَةُ هي حرفة الْصَنَائِعْ – كل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصنع حرفة له (ج) صناعات وصَنَائِعْ .... [2]

---

1)إبن منظور . لسان العرب ،دار الصادر بيروت ، المجلد الثامن ،الطبعة الثالثة ، سنة1414هـ–1994 م ص 208 .

2)المسعدي ، محمود .(القاموس الجديد) ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، الطبعة السابعة ، سنة 1991 م ، ص17.

يتبين من خلال المفاهيم السابقة أن (الصناعة) هي العمل وكذلك الحرفة ومن معاني الصناعة أيضا ، الأداء ، والفراسة ، والمهارة ، والإحتراف والممارسة .

وقد أشار العلامة عبد الرحمن بن خلدون إلى هذا المفهوم في مقدمته حين تطرق للصنائع فقال:"إعلم ان الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ويكونه عمليا هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة أتم قائدة ، والملكة صفة راسخة تحصل عن إستعمال ذلك الفعل وتكررة مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة ونقل المعاينة أو عبأ و أتم من نقل الخبر والعلم ، فالملكة الحاصلة عن الخبر على قدر جودة التعليم وملكة المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ..... [1]

تناول إبن خلدون في تعريفه نقطتين أساسيتين أولاهما :إن الصناعة ملكة يكتسبها الإنسان بتكرار إستعمالها فهي ليست فطرية فنية .كما انها قابلة للتطور ، وآخر هو أن الصناعة فعل عملي فكري ، أو بمعنى آخر هي عمل تطبيقي وممارسة فعلية الأمر ، الذي يجعل إكتسابها عن طريق الممارسة المتكررة والمباشرة الفعلية أقيد وأقرب إلى الإتقان من اكتسابها عن طريق التعليم النظري .

ويشير إبن خلدون في بقية التعريف إلى نوعين من الصناعة إذ يقول :"...ثم أن الصنائع منها البسيط ومنها المركب ، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات....."[2]

تعتبر الصناعة اليدوية قديمة المنشأ ويرجع ظهورها إلى ظهور الإنسان نفسه،

1) عبد الرحمن ،إبن خلدون . المقدمة ، دار الجبل بيروت .د ت / د ط / ص 443 .

2) المصدر نفسه ، ص 443.

وهذه الصناعات البدائية (اليدوية) هي بشكل أو بآخر بذرة التكنولوجيا التي غرسها الإنسان البدائي وترعرعت عبر ملايين السنيين ، متغذية من كل ما حولها من أفكار وعلوم وتقنيات حتى أضحت على ماهي عليه الآن من تطور ورقي .

ومن هذا المنطق يظهر أن الصناعات البدائية (PRIMITIVES) أيضا تدخل تحت سقف ما يسمى بالصناعات التقليدية التي أصبحت اليوم أضعافا مضاعفة ، فهي بدأت متمثلة في بعض الصنائع اليدوية البسيطة جدا إعتماد على بعض المواد الأولية المأخوذة من الطبيعة مباشرة ، كالأغصان ، والأشجار ، وجلود الحيوانات وقرونها ، والعظام ، لصناعة أدوات الصيد والفتال والملابس وأدوات الزراعة ..... وفي كل مرة تتجدد الإحتياجات فتتطور الأفكار لتتطور معها الوسائل بمساعدة إكتشاف مواد جديدة كما هو الشأن بالنسبة لمادة القلز (البرونز) التي أحدثت تغييرا هائلا بعد العصر الحجري الحديث.[1]

وخلاصة ما سبق ذكره أن الصناعات التقليدية (القديمة أو البدائية) كانت محصورة في أنواع بسيطة تعد على الأصابع تتماشى مع متطلبات العيش الضرورية والبسيطة في الوقت نفسه ومع كل حقبة جديدة أخذت تظهر صنائع جديدة ، تفرضها طريقة العيش الجديدة أيضا إلى أن بلغت الصناعات التقليديةالمستوى الذي هي عليه في عصرنا من التطور كما وكيفا ، فهي لا تكاد تعد من كثرتها وتنوعها، ولا مجال

1)براهيمي ، ك . مدخل إلى ماقبل التاريخ الجزائري ، المؤسسة الوطنية للطبع والتوزيع الجزائر، سنة 1978 ، ص37 .

لحصرها لأن هذا البحث ليس مقاما لذلك ، وحتى إن تم ذلك فلن يكون إلا إستطراد على حساب أمور أخرى تتصل بلب البحث وبعد هذه النبذة عن الصناعة اليدوية وإذا أردنا الحديث بشيء من التركيز عن الصناعة المعدنية ، فإنه لن يعاد التطرق لماهية "الصناعة" فقد سبق الإشارة إلى ذلك ، وتعتبر هذه الأخيرة مجرد حلقة وصل للدخول في الحديث عن حرفة الحلي ، إذن فماهي الصناعة المعدنية؟

إن الحديث عن ماهية شيء يقود حتما إلى الإنطلاق من معناه اللغوي ومنه إلى الجانب الإصطلاحي :

والمعدنية فهي من أصل (ع.د.ن) الذي قال بشأنه إبن منظور :عَدِنَ فلان بالمكان يَعْدِنُ ويَعْدُنُ عَدْنًا وعُدُونًا :أقام ومركز كل شيء مَعْدَنُهُ .....

ومعدن الذهب والفضة يسمى معدنا لإثبات الله في جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عدن أي ثبت فيه وقال الليث: المعدن مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه نحو: معدن الذهب والفضة والأشياء .....[1]

إذن فالمعدن – أو بالأحرى – المعادن هي تلك المواد الصلبة إلى حد ما القابلة للتمدد والتقلص والذوبان في درجة حرارة معينة (عالية نسبيا) والتي تظهر على سطح الأرض أو في جوفها ، على شكل أجرام أو خامات وللمعدن خصائص فيزيائية معينة تتمثل اساسا في أنه قابل للتصفيح أو التحول وعاكس للضوء بدرجات متفاوته كما أنه موصل أوناقل لكل من الحرارة والتيار الكهربائي.[2]

1)إبن منظور ، مرجع سابق ، ص279 .

2) horrygilbertP.haight,principes de chimie ,edition parie 1973 ,p15

لا شك أن إكتشاف الإنسان البدائي للمعادن غير من مجرى حياته ومكنه من تحقيق نتائج باهرة في مجال تحكمه في الطبيعة وتسخير ثرواتها لصالحه .

حدث ذلك بعد حقب زمنية كان يوصف فيها مرة بالإنسان الملتقط ومرة بالإنسان الصياد أو القناص وأخرى بالإنسان المنتج ، وهي المرحلة التي أصبح يتحكم خلالها في توفير غذائه النباتي عن طريق إستغلال الأرض ، أو ما يمكن وصفه بالنشاط الزراعي فأصبح يفكر في الكيفية التي يزرع بها الأرض بعد التقاط وجمع البذور ونثرها على الأرض ، وكانت طريقة فاشلة ، فقد كان بذلك يوفر قوتا سهل المنال للطيور والحشرات ودقائق الحيوانات ، ولم يكن هذا الأمر غائبا عن ملاحظته. فقد حاول مرات ومرات دون طائل يرتجي من ذلك ففكر في إبعاد ذلك وهو أن يبعد هاته البذور عن تلك الكائنات فكان دسها في التراب حلائلا بين هذه وتلك . لم يقف هذا الكائن – المكرم بالعقل دون سائل المخلوقات – عند هذا الحد بل أصبح يفكر في أساليب وتقنيات تمكنه من حفر الأرض وتهيئها ، فكان أن برع في صناعة وسائل وأدوات أقل ما يقال عنها أنها بسيطة في شكلها وصنعها ، مبهرة بالنسبة له في نتائج عملها ، فحقق بذلك الحكمة القائلة :"... الحاجة أم الإختراع " ، ثم إن هذا لم يكن بادرة صناعية لهذا الكائن بل سبق وأن صنع أدوات وأسلحة ساعدته كثيرا في نشاطه كصياد أو كمدافع عن نفسه في مرحلة سبقت نشاطه الزراعي وذلك إعتماد على الأحجار والأخشاب وقرون الحيوانات وعظامها وبعض المعادن على قلتها يقول "حسان حلاق" في هذا المجال:" توصلت الشعوب القديمة في مصر وبلاد مابين النهرين، وفارس واليونان إلى إستخدام المعادن لاسيما بعد النقلة التاريخية وإكتشافهم للنحاس ومن ثم الحديد وتوصلهم إلى مزج المعادن بعضها بالبعض الآخر" .

والحقيقة فإن أهم تقدم تقني وأكبر مرحلة تنظيم الزراعة والإستقرار الإنساني إنما يكمن في إكتشاف المعادن وإستخدامها وخاصة النحاس وسبيكة البرونز الذي ينسب إليه عصر الحضارة القديمة المسمى عصر البرونز ، وتبعا لأهمية المعادن فقد إرتبطتإرتباطا وثيقا بالتكنولوجيا والعلوم منذ إكتشافهاوإستخدامها.والمعادن منذ فجر التاريخ كانت نادرة وقليلة لهذا فإن كلمة"معدن" في اللغات اللاتينية « metallum »

مشتقة من كلمة يبحث في اللغة اليونانية « metallam » مما يشير إلى ندرة المعادن قديما حتى أن البحث لإستخراج المعادن من المناجم تسمى في الإنجليزية « mime » ويتطلب إستخلاص المعادن وتحضيرها وتصنيفها خبرة طويلة ويبدو أن الذهب كان أول المعادن المصنعة ، لانه هو المعدن الوحيد مع النحاس يوجد بحالته الخام .[1]

ويذهب الباحث ج.أ.مودوي إلى رأي مشابه حيث يقول:" وبخصوص صناعة الأدوات فإن النحاس – أولا – ثم البرونز– في مرحلة ثانية – هما اللذان عوضا بشكل تدريجي ، الحجارة وكانت الفأس الأداة السباقة في الظهور والإنتشار.ثم جاء دور الأدوات المستخدمة في الزراعة كالمنجل ،في مرحلة ثانية ثم المعول والدقماق* المستخدمان في التعامل مع الأرض لاستخلاص رفاتها المعدنية وفي مرحلة أخيرة

1)حلاق،حسان.مقدمة في تاريخ العلوم والتكنولوجيا،دارالنهضة العربية للطباعةوالنشر والتوزيع سنة 2007 ،ص 79 .

* الدقماق: هو مطرقة ذات رأسين دقيقين يستخدمها عمال المناجم .

أدوات الحدادة من سنداد ومطرقة ومبرد ، وإزميل ، وأدوات النجارة من منقش ومنحت..... إن في هذين القولين اختزالا جليا لتطور أشكال الصناعة المعدنية عبر التاريخ ومن المهم جدا – في مثل هذا المجال – الإشارة إلى الطريقة التي تعامل بها الإنسان البدائي مع تلك المعادن ، خصوصا إذا علمنا أنها تتطلب درجة حرارة عالية لإذابتها. لا يمكن للنار الصادرة عن الحطب الطبيعي – مثلا– أن توفرها وحول هذا يواصل الباحث مودوي موضحا في حديثه عن الحقب الزمنية التي تم خلالها إكتشاف المعادن وإستعمالها:أن تطور التقنية يمكن من تمييز هذه الأخيرة – وبشكل

من الأشكال – بتحديد حقبتها الزمنية وعلى هذا ففي منطقتنا* عصر البرونز يتوزع على الشكل التالي:

– **عصر البرونز الأول:** ويبدأ مع نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد في بداية الأمر إستغل النحاس لوحده ، فالبرونز لم يستعمل إلا في مرحلة لاحقة . ومن بين الأدوات المميزة لهذه الحقبة الزمنية:الفأس المسطحة التي تشبه الفأس الحجرية والتي سبقتها في الظهور وكذلك الإبرة أو المخياطالحندقوقي(TREFLEE) وكذلك المتقب أو المخرز المعين (LOZANGE) هذه الأدوات التي يبدو أنها إشتهرتوإنتشرت من قبل بائعي ومروجي الأواني الكأسية الشكل أو (القلل)– كانت معروفة ومتداولة من جنوب إسبانيا إلى غاية منطقة البويمشيكوسواكيا.

* إن الباحث يتحدث عن الحضارات التي قامت على ضفاف حوض البحر الأبيض المتوسط .

– **عصر البرونز الثاني:**(ويبدأ من حولي سنة 1900 إلى 1600 قبل الميلاد) ومن بين الأدوات الخاصة بهذا العهد: الفأس المسطحة ذات الكفة أو الحاشية العريضة والمنبسطة الحد ، وكذلك الخنجر المثلثي الشكل والعقد المصنوع بقصيبات إسطوانية.

– **عصر البرونز الثالث:**(من 1600 إلى 1300 قبل الميلاد) ومن بين أدوات هذا العصر: الفأس المسطحة ذات الحاشية العريضة والمنبسطة الحد ، والفأس المجنحة وكذلك الخنجر المنحي الشكل والسيف ذو اللسين الداخل في المقبض والمثبت بمسامير منحينة .

- **عصر البرونز الرابع:**(من 1300 إلى 900 قبل الميلاد) :هذا العصر الذي ضم مجموعة من التقنيات الجديدة والتي يبدو أنها من أصل (هونجري) عرف ظهور صناعة أدوات مختلفة . كالسيف ذي اللسين المسطح والعاشية ذات الكفة وكذلك الفأس ذات المقبض وهذا السلاح هو النوع المميز لحضارة سميت حضارة (مجال الجرار (dunes champ)) .[1]

ويلاحظ القارئ الكريم مما سبق أن إكتشاف الإنسان البدائي للمعدن مكنه – بمرور الوقت – من تطور تقنية في صنع أذواقه . لكن السؤال المطروح هو: كيف تعامل الإنسان مع (المعدن) في أول الأمر ؟

إن النار التي ساعدت الإنسان على العيش في مناخ الجليدي القاسي مكنته أيضا

1)J.Amauduit (mare nostram) edition du mont – blanc.1966 , P172

من تذويب المعدن وكذا تطوير وزيادة فاعلية بشكل كبير.ولكنه قبل التمكن من التحكم في العمليات المعقدة التي تتطلبها عملية التعدين وقبل التوصل إلى صناعة أسلحة أو أدوات أو تحف فنية ، مرَّ الإنسان بسلسلة من المراحل المتوالية المحددة حسب المعدن المستخدم وعلى هذا المنوال يمكن تمييز تعدين النحاس ، وتعدين القلز (البرونز) وتعدين الحديد .يمكن الإعتقاد أن الإنسان إهتم مبكرا بالمعدن الطبيعي الخام الذي ألفت إنتباهه خلال أعماله في الأرض وتقليبه للتربة:(الذهب، النحاس ، الحديد ....) العاكسة للأشعة .

إن الذهب الذي يشد – بوجه الخصوص– النظر ببريقه اللامع يمكن أن يكون قد سبق النحاس في تاريخ التعدين ، لكن ندرته لم تمنعه من لعب دور مهم والأمر نفسه

ينطبق على الفضة . هذان المعدنان لم يستخدما إلا في صناعة أدوات الزينة والحلي إلا أن إستخدامهما الصناعي غير مقض ، بما أنه وجدت بالمقادير ما قبل التاريخية البابلية بعض الوسائل (كمقص من الذهب مثلا) .

أما فيما يخص معدن الرصاص فإنه لم يلعب أي دور حقيقي في التعدين البدائي لقد كان معروفا – وفي بعض الأحيان – مستعملا بما أنه تم العثور على نتافات من هذا المعدن في أماكن إستخدمت كمأوى في العهد البرونزي كما أنه عثر أيضا على مادة الرصاص في طبقة أرضية جيولوجية قديمة .

يرجع تاريخها إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد ولكن الأمر يتعلق دائما باستعمال محصور وليس خاصة بهذه المادة. [1]

1)A.M ,OP.CIT , P49/50.

عندما تأتي المعدن كانت التهيئة الأكثر بساطة لتحويل المادة الخام إلى أداة ، هي الدق والتطريق على المادة باردة هذه الطريقة البدائية مستعملة من قبل الهنود الحمر عشائر السكين الأصفر الذين عاشوا بكندا. لقد كانوا يستغلون النحاس الخام باستخدام التطريق بالحجر حتى يأخذ شكل الأداة المراد صنعها. سكان القطب الشمالي (الإسكيمو) أيضا إستعملوا الطريقة نفسها مع خامات الحديد التي كانوا يعثرون عليها .

وعندما كانت هذه التقنية هي الوحيدة المستعملة ، فلا يمكننا إعتبار العشائر التي تبنتها على أنها مرحلة من مراحل التعدين لأن هذه الأخيرة في الحقيقة تتطلب إستخدام النار. وكذا تذويب المعدن ، إذن أولئك لم يكونوا إلا نحاتي أحجار أسسوا للبوادر الأولى للصناعة المعدنية أو التعدين .[1]

نلاحظ من خلال هذه الآراء التوجه التدريجي للإنسان من الحجارة إلى المعدن مع إعتماده على الطرق والتقنيات التقليدية التي إستعملها في نحته للأحجار إضافة إلى تقنيات جديدة تتماشى وطبيعة المعدن نفسه إكتسبها عن طريق المحاولات العديدة أولها الدق أو التطريق على المعدن باردا ، وهي تقنية أسست للصناعة المعدنية التي فيما بعد ، وبقيت مستعملة إلى يومنا هذا .

إن الصناعة المعدنية التي نحن بصدد الحديث عنها تبدأ طبعا مع أول المعادن إنتشار ألا وهو النحاس .

إن سرعة الذوبان الكبيرة لخامات معدن النحاس أو القصدير اللذان يمكن لهما

---

1)A.M,OP.CIT, P50

الذوبان سهولة بحرارة شعلة الشمعة ، وكذلك سهولة الحصول على المادة الخام التي غالبا ماتظهر فوق سطح الأرض ، وفي بعض الأحيان بكتل وأحجام قد يصل وزنها إلى عشرات الكيلوغرامات بوضع إحتمال كون النحاس أول المعادن إستعمالا .[1]

وتدلنا مجموعة من الأثار النحاسية العراقية القديمة على أنهم أول من إستخدام النحاس في الصناعات اليدوية منذ أوائل الألف الرابع قبل الميلاد (4000 ق.م)*

وقد تقدمت صناعة النحاس تقدما عظيما عند العراقين القدماء في العهد السومري وفي العصور التاريخية اللاحقة ، وعند الفراعنة وإستخدام العراقيون والمصريون القدماء ثلاثة طرق في تصنيع النحاس:

أ) الطرق على النحاس باردا .

ب) الطرق على النحاس بعد تسخينه .

ج) الصب بالقوالب الفخارية .

ووجدت أثار نحاسية متقنة الصنع من العصر السومري إستخدمت فيها طريقة الصب كالثيران الرابطة ، والثيران المدورة ، وتماثيل حيوانات أخرى صغيرة .

أما أقدم أداة معدنية صنعها الإنسان القديم من النحاس هي رأس رمح النحاسية (النحاس الخالص) عثر عليها في موقع يسمى "أور" قرب مدينة الناصرية العراقية[2].

1)A.M ,OP.CIT, P50/51

* ظهور الصناعة المعدنية لم يكن في الحبقة الزمنية نفسها لكل مناطق العالم .

2)جودي ، محمد حسين . مبادئ في التربية الفنية وأشغال النحاس ، سنة 1996 ، ص 86 .

نظر لسهولة الحصول ، والتذويب يعتبر النحاس – رغم ذلك– مشوبا ببعض النقائص المهمة التي جعلت إستعماله ضعيفا ومحصورا * ، فهو سيء السبك وتذويبه يلحق أضرار بالقوالب المستعملة ، ومن جهة أخرى هو لين جدا ولا يصلح كثير لصناعة العدد والأدوات ، ولكن مع إشراكه في تكوين الفلز (البرونز) أي بإتحاده مع القصدير يكتسب صلابة وسهولة في السبك في الوقت نفسه ، الأمر الذي يجعله مذهلا لعدة إستعمالات وبهذا الشكل إنتشرإستعمال موازاة مع إيجاد المواد الأولية الخام اللازمة لصناعته وتكوينه .

ثم إنه من المقبول والمعقول جدا أن إكتشاف معدن البرونز كان بمنطقة وجدت بها العناصر المكونة للنحاس ، والعناصر المكونة للقصدير قريبة من بعضها البعض وأن هذا المعدن نتج عن طريق الصدفة أو عن البراعة أو من العبقرية الإكتشافية لأحد الحرفيين المحليين . ومهما كان الأمر فإن هناك دلائل على أنه في حوالي:2000 سنة قبل الميلاد ، كان البرونز متواجد في الحضارة السومرية (حضارة

مابين النهرين) وإيران ، وأيضا عند المصريين القدامى.إن أفضل هذا المعدن الجديد ساعد على سرعة إنتشاره أولا في شكل أشياء ومصنوعات تزينية والحلي تم بعد ذلك كأسلحة وأدوات مختلفة ، لكن الإعتماد على الأحجار في صناعة الأدوات مضى لمدة طويلة منافس للتعدين البرونزي نظر للنقص النسبي لهذه المادة الذي جعل إستعمالها منحصر .[1]

* هذا الحكم خاص بالنحاس الخالص فقط هو الذي كان إستعماله ضعيفا أو محصورا .

1)A.M ,OP.CIT , P52

الحديد أيضا شأنه شأن البرونز ،نضج في الشرق الأوسط أين نشأت تقنية تعدين الحديد ويمكن التقدير إحتمالا أن المحاولات الأولى منحصرة مابين(2000) و(1500) قبل الميلاد لأن المعلومات عن بدايات تعدين الحديد قليلة جدا .

إن تذويب هذا المعدن عملية تتطلب حرارة تفوق الألف وخمسمائة درجة وهذا مالم يكن طبعا في متناول الصناع البدائيين ، ولذا كانوا يصنعون الأشياء والعدد إنطلاقا من كتل الحديد المستخلصة مباشرة من جرم المادة الخام هذا التقنية لاتتطلب اكثر من سبعمائة ، أو ثمانمائة درجة مئوية هذه الحرارة التي يمكن الحصول عليها بسهولة داخل سبعمائة ، أو ثمانمائة درجة مئوية هذه الحرارة التي يمكن الحصول عليها بسهولة داخل فرن باستعمال الأخشاب والحطب كوقود وتدعيم ذلك بالنفخ خلال قصبة لتأجيج النار (تقنية المنفاخ) .[1]

اصبح الحديد المحور الفاعل للتجارة خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد ومع ذلك بقي لحقبة زمنية طويلة في تنافس مع البرونز ، وذلك بسبب الصعوبات التقنية

لصوغه– آنذاك – ويظهر أن الآشوريين هم أول من جهزوا جنودهم بأسلحة من حديد .[2]

وهكذا فإنه منذ فجر التاريخ إرتبطت المعادن بالنار وقد أدى التعدين فيما بعد إلى نشوء صناعات معدنية عديدة حركت الحياة الصناعية والتجارية والزراعية. مهدت لها السبل للتقدم إلى الأمام فأصبحت على ماهي عليه الآن من تطور ورقي عصري هائل لكنها مع هذا التطور وهذه العصرنة إحتفظت في بعض أشكالها بأصولها

1)Julie Wood : (le livre de la préhistoire) , P66
2)A.M,OP.CIT, P53

وبمبادئها الأولية ، وسميت تقليدية وهذا هو الجانب المراد بالدراسةفي هذا البحث ، وإذا إختزلنا المراحل التاريخية وطوينا العقود الزمنية وخصصنا المجال المكاني والزماني فإننا نرجع – لا محالة– إلى نقطة البداية أي إلى الحديث عن الصناعة التقليدية في الجزائر من جانبها الخاص بالمجال المعدني .

وفي ذلك يواصل الدكتور سعد الله حديثه إذ يقول: ولا بد من ذكر صناعة النحاس أيضا فقد كانت إحدى الصناعات التقليدية الرائجة وقد أخبر "روزي" سنة 1833 أن مختلف أنواع الأسلحة كانت تصنع في الجزائر عدا المدافع ... وكانت المادة الخام تستخرج محليا وتستورد أيضا من المغرب والأندلس (إسبانيا) وهذه المادة كانت تستعمل في أغراض عديدة ، منها الأطباق وأحواض الحمام وأواني الكسكسي والسكريات والمصابيح (الثريات) ، وهناك أبواب كاملة من الخشب كانت مغطاة بالنحاس ، وقد نقشت عليها نقوش متناسقة كما حدثت في جامع سيدي بومدين في تلمسان ، وجامعها الكبير وقد صنعت الثريات في هذه الأماكن من نفس المادة وحافظت قسنطنية والعاصمة على صناعة النحاس بينما أخذت تنقرض فيما عدا هما

.... ويذهب بعض النقاد إلى أن معظم الباقيين من هؤلاء الفنانين كانوا من أصل سوري. وكانوا يستعملون النماذج السورية التي يعرفونها أو يقلدون نماذج متحفية.* وقد إشتهرت الجزائر بصناعة السيوف والسكاكين وبالأدوات المستعملة للفرس كالركاب واللجام ويذهب "ميرانت" إلى أن الصناع الجزائريين لم يبلغوا درجة إخوانهم في المغرب وتونس في الإتقان .[1]

* من بين أولئك النقاد ، المستشرقة (ماري بوجيجا).

1) أبو القاسم ، سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، جزء الثامن ،دار البصائر ، الجزائر، سنة 2009 ص363 .

واقع الصناعة التقليدية قبل الإستعمار:

كانت الصناعة التقليدية بالمدن ذات سوق محدودة إلا أنها عرفت تطورا ملحوظا وذلك راجع إلى قدوم أفواج من اليهود والمسلمين من الأندلس الذين طردوا من إسبانيا سنة 1491 من طرف النصارى.[1] حيث وفروا حركة صناعية في المدن مثل:ندرومة ، الجزائر ، مستغانم ، شرشال حيث أحصى هايدو في القرن التاسع عشر (19): 3000 من النساجين في الجزائر وكان بقسنطينة وتلمسان عدد كبير من المصانع للنسيج والإسكافة والسراجة والحدادة وإختص اليهود بصنع الجواهر والساعات والحلي بالإضافة إلى الحدادة والخياطة .

وكانت هذه الصناعات تكفي السوق الداخلية ، والإنتاج التقليدي مثل المنسوجات تسوق في الأرياف تحت رعاية تجار المدن وسكان الريف أغلبيتهم من النساجين يصنعون الزرابي والبساط من الصوف وفي أواخر القرن 16 أصبحت السوق تتميز بالكساد بسبب إستغلال أصحاب المدن للأرض والتي كانت للنساجين ، وهذا ما أدى إلى قسوة المعاش وفقر السكان وتدهور الطلب لدى سكان الأرياف نتيجة الضرائب المفروضة عليهم من طرف الباي .[2]

وكانت مدينة ندرومة تحافظ على علاقاتها مع زناتة في الجبال وأسواقها تروج بها " صناعة الزرابي والبسط من القطن " في القبائل الذين كانوا من التجار المتعاملين مع الجزائر وتلمسان ، يكثر بها صناع ذو فضل في سلوك عملهم يقومون بصنع أسترة الفرسان والزرابي والعبارات وغيرها لامثيل لها في إفريقيا حيث حافظت هذه

1)سعيدوني ، نصر الدين .النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 800–1830، ص34.

2) أندري يونيان، أندري نوشي – إيف لاكوست– الجزائر بين الماضي والحاضر، الجزائر 1984 ، ص 34 .

الأخيرة وقسنطينة على روابطها مع البلدان المجاورة بحيث كانت تصدر الجلود والحايك والبرنس والصناعات التقليدية التي كانت مخصصة لتسديد حاجة الطبقة الفنية تتمثل في قيام النساجين بصناعة الحايك والأحزمة المطروزة والزرابي المتشابهة لزرابي المشرق ، لأغنياء "البرانس والقندورة والطليسان لحمولات الحيوان" وهي تباع في الأرياف ويجب أن يأخذ بعين الإعتبار الصناعات التي كان يقوم بها اليهود مثل الصهر والساعات والجواهر والحديد والبلور والخياطة والسمكرية لها قيمة كبرى في بناء مساكن ضخمة في المدن وبقيت بعضها شاهدا على ذلك إلى يومنا هذا .

فالتجار والصناع كانوا يعملون مع الضيقة الحضرية السائدة ،حيث يتمركزون في المدن الكبرى ذات النشاط الصناعي والتجاري التقليدي ، فالجزائر مثلا كانت تكثر بها المنازل والحوانيت والمعارض الصناعة التقليدية حيث قدرت إحصائيات 1840.[1] صناعة الجلد بقسنطينة توفر 33 معملا لصباغة و70 للسراجين،167 للإسكافيين حيث تشغل حوالي 480 عاملا ، وتلمسان 500 حرفة في قطاع النسيج

وعدد من معامل الجلد والخشب وبالبلدة يكثر بها الإسكافةوالنساجين (الكتان والصوف) والحدادون والسراجون وصناع الحراثة والفؤوس .

بكثرة على إفريقيا آدبإختفاء تدريجي للمنتوجات المحلية مما دفع بالحرفين إلى الخفض من سعر منتوجهم نجم عنه التخلي عن اماكنهم وإقفال الورشات والدكاكين في كل من قسنطينة والجزائر ووهران ، وبسبب الوفود الأروبي الذي حل لم يستطع الحرفيين البقاء على إتصال بالداخل لذلك لجؤوا إلى الهجرة خاصة إلى

1) أندري بريان – أندري نوشي : مرجع سابق ، صفحة 235 .

تونس والمغرب وبدأت تتلاشى بنية الورشة وتفرقت الحرف ومعها أفضل العمال وأكفأ أرباب العمل بقول بيل ريكارد:" إن إنحطاط الصناعات الذي ظهرت معالمه منذ بداية الإحتلال الفرنسي تزايد فجأة منذ بضعة سنوات وفيما يتعلق بالخياطين فإن عدد التلامذة يتناقصون من سنة لأخرى ، ففي منطقة وهران وفي مقاطعة الجزائر الصناعات الصوفية المحلية في إنحطاط وفي تلمسان كان يوجد 500 معلم حياكة عام 1898 أصبح عددهم 209 خلال الحرب العالمية الأولى ، والدباغة في قسنطينة 1840 – 33 مؤسسة الجلود 20 سراج و480 سكان أما في عام 1912 فلم نجد سوى 6 دباغات .[1]

إستطاعت الصناعة الأروبية إنتاج كل النماذج الشرقة ماعدا بعض المنتوجات الفريدة من نوعها لم تقدر على إنتاج متلها مثل السجاد والأغطية الصوفية وفي هذه الحالة يكون التطور بإتجاه تبعية للحرفيين التجار وتجلهم إلى رأسماليين صناعيين .

واقع الصناعة التقليدية أثناء الإستعمار:

تأثرت الصناعة التقليدية بشكل واضح أثناء فترة الإحتلال الفرنسي حيث عرفت تدهورا وإنحطاطا ذلك بسبب إلغاء النظام الحرفي وتحويل الحرفيين إلى عمال

كادحيينواستغلالالإستعمار المواد الأولية لصالحه ، فأصبح إنتاج الأصواف والجلود والأخشاب أكثر توجها نحو التصدير تحت ضغط التجارة والضريبة وإرتفاع سعر المادة الأولية بالنسبة للحرفيين ، إرتفع سعر جلود الماعز 150فرنك

1) أندري بريان –أندري نوشي : مرجع سابق ، صفحة 247 .

عام 1883 ،إلى 220 فرنك سنة 1906 ، 250فرنك عام 1911، وضاعفت الحرب العالمية الأولى هذه الزيادة في الأسعار حتى حرم الحرفيون من موادهم الأولية وكذلك بالنسبة للصوف التي عرفت أسعارها إرتفاعا .[1]

عرفت الدول الأوروبية تطورا سريعا لوسائل الإتصال وإنشاء مراكز المصارف ومراكز التجارة وتدفق رؤوس الأموال ، نجم عنه تسهيل التبادل التجاري وإستغلالها للمواد الأولية جعلها تنتج مواد مصنعة ، وتوجهها للإستهلاك المحلي والأروبي مما أدى إلى إضمحلال الصناعة التقليدية .

بعد عشرين سنة إستعاددديمونت التحليل نفسه قائلا:كيف يمكن للمواد المصنعة على اليد وبطريقة تقليدية أن تنافس مواد مصنعة على آلالات وبسرعة مذهلة ورود المصنوعات الأروبية .

واقع الصناعة التقليدية بعد الإستقلال :

نظرا للجهود الذي عرفه القطاع أثناء الفترة الإستعمارية والتي وقفت أمام ديناميكيته وإستثماره ، جاءت المخططات التنموية والتي سمحت ببعض التحسينات إزاء الصناعة التقليدية ولكنها لم تستطع تدليل كل الصعاب التي يعرفها هذا القطاع الذي لم يجد نوع من يد المساعدة لإكمال طريقه .

وجدت الصناعة التقليدية نفسها محتقرة ومشوهة ، بعد الإستقلال وبعد كد وعناء وجدت طريقها وبصعوبة فمثلا في الريف إستطاع الحرفيون إسترجاع صناعتهم وإدخال بعض التغيرات التي أخذت من طرف الأروبيين وكذلك بادرت الدولة

1) بن أشنهور ، عبد اللطيف . تكون التخلف في الجزائر ، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر (1962/1830)، ص 245 .

بتطويرالمنتوج الجزائري وجعله عالميا وذلك ببناء المصانع وتطوير الورشات[1] فالديوان الوطني للصناعة التقليدية أصبح يسمى الشركة الوطنية للصناعة التقليدية عام ONATO 1963 وبعدها تحولت إلى الشركة الوطنية للصناعة التقليدية عام NAT 1971 التي أدت بإنهيار مراكز المساعدة التقني للصناعة التقليدية CATAT ومن أعمال هذه الشركة خلق أنواع جديدة من الحرف بتدريب الحرفيين ومساعدتهم .

مكانة الصناعة التقليدية في الإقتصاد الوطني:

كانت الصناعة التقليدية قبل الإستعمار تحتل مكانة هامة ومرموقة في المجتمع الجزائري حيث كانت تعتمد على الصناعات المحلية اليدوية لإرضاء متطلبات الأسواق والمدن والأرياف ، ويرجع الفضل في المحافظة عليها إلى بعض أسر الأندلس واليهود حيث إختصوا في صنع الأحجار الكريمة والجواهر التي كانت منتشرة في كل من تلمسان والجزائر وقسنطينة .[2]

ولكن بعد نيل الجزائر لإستقلالها شهدت النشاطات التقليدية تدهورا ، نظرا لما تعرضت له من تخريب ودمار من طرف الإستعمار لكونها تعكس شخصية المواطن الجزائري وأصالته ، حيث كانت تهدد وجود الإستعماروإستقراره ومن ضمن الأساليب التي إستخدامها للقضاء عليها غرس عادات وتقاليد داخلية على هوية الشعب

1) وزارة الصناعة والطاقة، الثورة الصناعة في الذكرى 20 من إندلاع الثورة 1982 ، ص113

2) أندري برنيان–أندري نوشي ، إيف لاكوست ، مرجع سابق ، ص 149

وتشجيعه للصناعات الإستخراجية وبالتالي تهميش هذا التراث.

وبالرغم من هذه المشاكل التي واجهتها ماكان عليها سوى إعادة إنشائها من جديد من حالة هذا الإنهيار وتحويلها إلى نشاط ديناميكي قادر على المساهمة في الإقتصاد الوطني ، فالصناعة التقليدية تعتبر ضرورية ومكملة للصناعة الحديثة .

التصنيع وأثره على الصناعة التقليدية:

لقد كان للمصانع دور الإسراع في عملية الهجرة الداخلية من الأرياف إلى المدن وبالتالي توسيع من نطاق العمل في المدن الجزائرية وكذا خلق مناصب الشغل والرفع من المستوى المعيشي للفئات الإجتماعية ، وإعطاء ديناميكية في التركيبة الإقتصاديةوالإجتماعية داخل المدن .

فبظهور العصر الآلي الميكانيكي ضعفت المهارات اليدوية الفنية وخرجت الأداة التي كان يستخدمها العامل الماهر القديم لكي تنتقل من يد العامل وتلتحم وتستقر في جسم الآلة، التي تعمل ذاتيا وتتتبع إنتاجا هائلا في وقت قصير فكان للآلة أثارها على نفسية العامل ونتائجها السوسولوجية على مختلف فئات العمال حيث إختصرت الآلة الكثير من الحركات كما أدت إلى إعفاء الكثير من العمال.[1]

وهناك إنتقال كبير لليد العاملة من قطاع لآخر نظر للإختلاف الموجود في مستويات ظروف العمل والآجر .

ولقد إرتبط التقدم التكنولوجي وتطوير التصنيع وإنتشاره بالمدن وتغيير الأنماط الريفية وتغيير الأنماط الحضرية حيث أصبحت المدينة مركز من مراكز الجذب للأعداد

1) قباري ، محمد إسماعيل . علم الإجتماع الحضري مشكلات التهجير والتغيير والتنمية ،منشاة المعارف الإسكندرية ب ط ، ب ت ، الصفحة 25 .

الهائلة من الريفيين الذين إنتفعوا نحو المصانع .[1]

والتي عملت على إمتصاص يد عاملة ريفية وحرفين ليصبحوا عمال منفذين في قضاء جديد يقرض نوعا من التعامل الجديد مع الوقت وتنظيم عمل قائم على العقلانية والإنضباط في السلوك .

وهذا لا يجعلنا نقول بأن الصناعات التقليدية شبه معدومة وإلا فكيف نفسر إستمرار التشغيل في هذا القطاع التقليدي ، فقد حقق تأثيرات إيجابية في التصنيعففي بادئ الأمر هيأ الطريق لعاملات القطاع التقليدي نحو القطاع الصناعي والحرفيين الذين تحولوا من منتجين كادحين توجهوا نحو قطاعات التصنيع حيث توجد الآجور المرتفعة لضمان معيشي أحسن .

أنواع الصناعات التقليدية في الجزائر:

تزخر الجزائر برصيد هائل من الصناعات التقليدية ، فهي أنواع متعددة ومختلفة نجدها في مناطق من البلاد ولا نجدها في أخرى وهذا راجع لكونها مرتبطة بالظروف البيئية ، الموقع الجغرافي لمنطقة مسكونة ومناخها من العوامل التي لا يمكن للإنسان الحرفي أن يتناسها عند نحته لتحفة فنية .

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم هذه الصناعات إلى ثلاث فروع ريفية وحضرية، صحراوية ، وبلادنا تشتهر بعدة أنواع من الصناعات التقليدية حيث عرفت منتوجاتها

في الكثير من البلدان العربية والأجنبية لما تتميز به من إتقان وجودة عالية ومن أهم هذه الصناعات مايلي:

1) قباري ، محمد إسماعيل . علم الإجتماع المعاصر ومشكلات التنظيم والإدارة والعلوم السلوكية ، منشاة المعارف الإسكندرية ب ط ، ب ت ، الصفحة 132 .

1) صناعة المنسوجات (الزرابي) :

تعد هذه الصناعة من إحدى الفروع التي تدخل ضمن الصناعات النسيجية .إذ أنها تحتل مكانة كبيرة في المجتمع الجزائري سواء البدوي أو الحضري ، وتستمر عدة مدن من القطر الجزائري بصناعة الزربية وكل منطقة لها خصوصياتها وتقنياتها وهذا الإختلاف يكمن في الشكل والحجم ، وحسن إستخدام الألوان والتفنن وكذا نوعية الأصواف المستعملة هو الذي جعل المنتوج الجزائري يعرف وقت من الأوقات في العديد من البلدان العربية منها والأجنبية .

ومن المدن المعروفة بزرابيتها :بسكرة والأغواط وقالمة وتبسة وغرداية ،وجبل عمور ومعسكر وتلمسان المدينة التي إشتهرت وطنيا وعالميا بهذا النوع من الصناعة النسيجية .[1]

صناعة النسيج والصوف وصباغتها مثل البرانس(القبائل) والجلابات والأغطية والحايك والشواشي والآحزمة والجبة الذي هو لباس الأصلي الجزائري وزخرفة النسيج بالألوان التي تقوم بها الهضاب العليا .

2) صناعة الفخار :

لقد عرف الإنسان مادة الطين منذ القديم حيث إستطاع عن طريق العجن والخرط والقولبة أن يصنع لنفسه العديد من الأواني والنماذج الفخارية في أشكال وأحجام

متنوعة وبألوان وزخارف مختلفة تختلف من منطقة لأخرى كصحون والأكواب والجرار والمزهريات والمصابيح (المصابيح الزيتية لمنطقة الأوراس والقبائل)

1)بوعزير، يحي . مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، سنة 1991 ، ص 327 .

ومما لاشك فيه أن توفر المادة الطينية في كثير من المدن الجزائرية هو السبب الرئيسي في وجود عدد كبير من المراكز الإنتاجية التي تهتم بالصناعة الفخارية حيث نجدها تتركز في الميزاب ، جرجرة والأوراس ، والهضاب العليا وتلمسان.

3)الصناعة الجلدية :

هذه الصناعة تعوض جذورها في أعماق التاريخ ، عرفها الإنسان إثر صيده للحيوانات ، من خلال تربيتها والإستفادة من لحومها في مأكله وجلودها لكي يقي نفسه من مؤثرات الطبيعية وبمرور الأزمنة إستطاع أن يخلق من هذه المادة حرفة ومما لاشك فيه أن الصناعة الجلدية متواجدة في كل المدن الجزائرية وخاصة في المناطق التي تتوفر على ثروة حيوانية كبيرة ومن المناطق التي لاتزال محافظة عليها الصحراء وخصوصا تمنراست ومن مصنوعاتها محافظ السفر ومحافظ السروج (السديرة) وتلمسان إحدى هذه المدن التي إشتهرت بهذه الصناعة ومن منتوجاتها صناعة البلاغي المطروزة من الخيط الذهبي ، سروج الخيل ، والوسائد الجلدية هذه بعض الصناعات التي إشتهرت بها بلادنا .ذكرت أهمها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، فبلادنا تزخر بنشاطات حرفية أخرى يطول الحديث عنها .

أبعاد الأنثروبولوجيا في الصناعات التقليدية:

لا يجب أن نفرض أن جل العمل الحرفي هو مجرد حب وإنسجام بل هي دائما وحدة متمايزة ومتنافسة وتسمح بتاكيد الذات وبمختلف الأهواء التمليكية إلا أن هذه الأهواء يكسيها التعاطف طابعا إجتماعيا خاضعا لنظام الروح العامة ويصبح الفرد طموحا ، وينتج عن هذه الوحدة تنظيم إجتماعي حرفي على النمط التالي .[1]

1) التنظيم الكلي للحرفة في الوسط الإجتماعي الريفي بإعتباره نظاما من الجماعات المتشابكة من جميع الأنواع الحرفية .

2) الحرفيون والحرفيات التي تقوم عادة بعمل معين يتعلق بالسياسة العامة كإستخدام عمال غرباء أو عدم إستخدامهم خاصة الموسمين وتوصيف بجمهور الحصادين ، الحوالين ، الدارسين ، النسجات ....الخ .

3) حرفيون وحرفيات ذوات مكانة في العمل يشتركون في الخدمات على أساس عمل مشترك في نوع معين من الحرفة ، وتكون العلاقة بين الأعضاء وثيقة صادقة بدرجة متباينة والمعبر عن ذلك يعملون ويتناولون طعامهم ويتحدثون معا.

4) جماعة من صديق أو ثلاثة بينهم صلة حميمة خاصة يكونون أعضاء ويحققون أكبر إنتاج معين .

5) أفراد منعزلون نادرا ما يسهمون في أوجه النشاط الإجتماعي والجانب الإجتماعي الوحيد للحرفي في هذا المظهر هو المنزلة أو الأهمية الإجتماعية التي ينسبها

1) بلقاسم ، الطاهر. الصناعة التقليدية في منبع حوض وادي تافنة(تلمسان) 2002/2001 ، ص 25 .

الاخرون لعمله طالما أن أداء الصانع لعمله قد يعتمد على إستجابة لمكانة العمل الإجتماعية ويتضمن السلوك الفني تفاعلا إجتماعيا .

هذا هو التفاعل الإجتماعي الذي يقوم على أساس إهتمام الشخص ويبدو أن هذا التكامل قد بدأ يتلاشى مع ثلاشي الجماعات الحرفية المختصة والتأثر ببعض العوامل التي أثرت على الطبيعة الحرفية والإنتاج وطريقة العمل والحياة الإجتماعية في هذه الظروف المثالية تتميز بـ:

- في الأشياء الحرفية التي تتطلب مهارة إذ يقل إحتمال القيام بها .
- عندما لا يكون هناك حرفة مؤقته أو يتطلب بعض الوقت ولا تقضي فيها الإختلافات الفصلية ، لا يمكن الإستعانة بحرفين من الوسط الإجتماعي .
- كما نجد الجماعات الوثيقة التكامل مع العمال الحرفيين ثابتة ، ويتضح من هذا خلق الروح المعنوية الطيبة في ظل أي حرفة . ومن بين الصفات التي تتميز بها الصناعة التقليدية في بلادنا:

* حرفة تقليدية تورث من جيل إلى جيل دون أي تطور أو إضافات جديدة .
* حرفة يدوية إعتمدت على جهد الإنسان العضلي .
* كانت تقوم على مواد خام متوفرة محليا ، مثل الصوف والجلود ، سحف النخيل.....الخ .
* هدفها تلبية الحاجات وحاجات الإنسان الرئيسية من ملبس وغذاء وأدوات الفلاحة.

* ذات طابع أسري يقوم بها فرد أو بضعة أفراد من نساء وأقارب صاحب الحرفة ولم تكن هناك مصانع كبيرة .

* هذه أهم سمات الصناعة التقليدية القديمة التي كانت تميز بلادنا .

تمهيد:

إن تلمسان رمزت بأرفع مستوى في مدن المغرب الأوسط الإسلامية بفضل نوعية مبانيها بصفة عامة . لعاصمة المغرب الأوسط القديمة هذه أنها تحوي القسط الأوفر من تراث بلاد الجزائر .

كما أن تلمسان عرفت مختلف الحضارات التي أثرت قليلا أو أكثر على موقعها . منذ القديم لم تكتف بأن تكون عاصمة مملكة ومركز تنبعث منه المعارف والتصوف كانت أيضا مدينة تجارة يسودها التراء وعلى حسب المؤرخين كانت هذه المدينة منطقة عيش رغد رغم الهجومات العسكرية المتعاقبة من طرف المجاورين لها والأضرار التي تنجم عن ذلك فمكانتها الجغرافية تبرز دورها الإقتصادي الهام منذ التاريخ القديم حتى القرن السادس عشر للميلاد ، وهذا ما جعلها مركز تبادل تجاري كبير فتبادل المنتوجات من ذهب وعاج وجلود وريش النعامة كان مصدر ثراء عند بعض من أهل تلمسان.

لكن تلمسان لم تكن موضع المبادلات تجارية فقط بل كانت أيضا مركز إنتاج إذ كانت منتوجاتها الصناعية مشكورة كما هي اليوم تعتبر مدينة النسيج من مناويلها كانت تخرج أقمشة صوفية مشهورة ، كما أشتهرت المدينة بتقنيات أخرى في صناعات أخرى كنقش النحاس وصناعة الزخف المطلي وعرفت بفن الطرز الذي يتماشى مع العرف وعظمة الحفلات والزفاف إلى آخر من الصناعات الأخرى إلى أن ظلت جوهرة الغرب معروفة بأيادي بارعة ظلت تنتج إلى يومنا هذا .

الموقع:

تلمسان من أحسن مدن الشمال الإفريقي الغربي موقعا ، لكونها في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى فالداخل للمغرب الآقصى آتيا من تونس أو الجزائر ، والخارج منه آتيا من مراكش أو فاس ، لابد له من المرور عليها والنزول والإقامة بها .

وكذا القادم من القارة الأروبية وخصوصا من جزيرة الأندلس عبر البحر الأبيض المتوسط وموانئ وهران وأرشقول وهنين .كذا القادم من الواحات الصحراوية والبلاد السودانية لابد له كذلك من المرور بها وهذا الموقع الممتاز جعل منها –أثناء القرون الوسطى – مركزا مهما للحرب والتجارة والسياحة. [1]

فالمدينة تقع في الإقليم الغربي من أرض الجزائر [2]الذي إصطفته الطبيعة لتبرز جمالها لمن يهواها ويقيم في حضنها ، وفي هذا الإطار تحتل المدينة المستوى المتوسط "عروس فوق المنصة " تمثلا بما فانه فيها أحد مؤرخي ملوكها [3] وهي ترتفع على سطح البحر بنحو ثمانمائة وثلاثين متر (830 م) وتبعد عنه بنحو 60 ميلا .

1) الحاج شاوش ، محمد بن رمضان . باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بن زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية –بن عكنون الجزائر ، سنة 1995 ، ص 29 .

2)الطمار ، محمد . تلمسان عبر العصور ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر سنة 2007 ص11.

3) مارسي ، جورج . من الفن الشهيرة تلمسان،ترجمة دحماني سعيد، دار النشر التل البليدة الجزائر سنة 2004 ، ص07 .

وتحيط بها الجبال والهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية ، وتحدها من الشمال الغربي مرتفع ترارة .وجبل فلاوسن ، أما من الشمال الشرقي ، فتوجد مرتفعات السبعة شيوخ وتاسلة تشرف المدينة من الناحية الشمالية على سهول خصبة تعرف بسهول "الحناية " الممتدة نحو الغرب ، حيث تتصل بسهول لالة مغنية ولا تبعد عن البحر إلا بسعة فراسخ [1] .

بحيث تطل على موانئ هنيين ووهران وأرشقول ، وتتوفر على مسطحات مائية عديدة تختزن كميات هائلة ، فضلا عن الأودية المحيطة بها مثل وادي متشكاته ووراديا الوريط ووادي الصفيف ووادي يسر ، فقد جعلها موقعها المتميز هذا تفتح أبوابها لتجارة أروبا والمغرب والمشرق وجنوب الصحراء (بلاد السودان). [2] ولم تقتصر أهمية تلمسان ، على المنافذ التجارية البرية منها والبحرية فحسب ، بل تعددت أهميتها إلى الملامح الطبوغرافية التي ضمنت لما حضانة طبيعية قوية .فقد وفر لها موقعها سهولة الدفاع وقوة الصمود أمام الغزاة ، فضلا على ما تحتويه من مسطحات صخرية ، وعلى ما تشمل عليه من سهول فسيحة خصبة وبساتين

خضراء تتوفر على فواكه وخضر ومحاصيل زراعية متنوعة تشد حاجيات أهل المدينة وأحوازها، لأن جبال تلمسان المحيطة بها تعد خزانا طبيعيا للمياه ، تتوزع على ينابيع كثيرة حول المدينة وبفضلها لبست المدينة حلة خضراء من أشجار

1) فيلالي ، عبد العزيز . تلمسان في العهد الزياني . دار النشر موفمالجزائر،الجزء الأول سنة2002 ، ص 87.

2) فيلالي ،عبد العزيز. تلمسان في العهد الزياني . عن المركز الوطني للبحوث في عصورها قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان عاصمة الثقافة سنة 2011 ، ص21 .

الصنوبر والجوز .

وأما المدينة فقد كانت تتمتع بشخصية مميزة تنفرد بها عن باقي مدن المغرب الأوسط في تلك الفترة وتعتبر المركز الحضاري الهام في منطقة ريفية غلب عليها الطابع الريفي البدوي ، تقطنها القبائل البدوية المختلفة حتى صارت تعد حاضرة زناتة .[1]

أسماء المدينة ومعانيها:

إننا لا نعرف بالضبط من إختط لأول مرة مدينة تلمسان ولا من كان إختطاطها كما أننا لا نعرف كذلك بالضبط من أعطاها هذا الإسم ولا متى وقع إطلاقه عليها فكل ما نعلم عنها هو انه أختطها أمراء بني يفرن من زناته في القرون الأولى أي في العصر القدموس[2]، كما أن المدينة مرت منذ نشأتها عبر مراحل تاريخها القديم والوسيط بأسماء متعددة وهذا لإعتبارها من أقدم مدن المغرب الأوسط ، حيث عرفت الإستقرار البشري ، منذ آلاف السنين ويتضح ذلك من خلال الحفريات والأبحاث التي أجريت عليها من قبل بعض الباحثين الغربيين على وجه الخصوص، الذين عثروا على بقايا أثرية تعود إلى العصور الحجرية أو فجر الحضارة الأولى لإنسان هذه المنطقة.[3]

وكانت بعض الحواضر التي شيدها الإنسان في ظروف معينة ما التاريخ البشري تحيط بنشأتها وتطورها هالة من الأساطير والغموض،فمدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط من بين المدن التي تكتنفها أوسع هالة من الإحتمالات والتخمينات سواء

1) فيلالي ، عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 88 .

2) الحاج شاوش ، محمد بن رمضان . المرجع سابق، صفحة 49 .

3)فيلالي ، عبد العزيز . المرجع نفسه، صفحة 88 .

من حيث تسميتها(أي أسمها) أو من حيث بدايتها ونموها العمراني وسكاني.[1] فإن الأبحاث الأثرية وبقايا مؤثرات الإنسان التي ظلت قائمة في كثير من المناطق المغربية ، تدل على أن الفنيقيين أنشأوا مجموعة من المحطات الساحلية وهذه المحطات تحولت إلى مدن ، وتجمعات حضارية مثل:الجزائر ، تنس، تلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط .

مدلول إسم تلمسان:

طالما جرى البحث عن إسم المدينة في العصور القديمة ولكن لم تكن هناك دلائل في كتب التاريخ ولم يصل للمؤرخين إلا إسمها الروماني الذي يعد أقدم من غيره عند كثير من الباحثين الذين إهتموا بحضارة المدينة وبنشأتها العمرانية ، إلا أن هذا الإسم لا يعني أن المدينة تأسيس روماني ، فلا شك أنها كانت أقدم من وجود الرومان في تلك الناحية من البلاد ولا شك انها كانت تحمل إسما آخر بربريا. [2] إلا أن وجود أثار رومانية يدل على أن الرومان قد سكنوا هذه المنطقة وبنوا فيها قواعد لحماية خطوط الليمسي في غرب بلاد المغرب ، لأن الإستعمار الروماني كان مبنيا على الإستطان والفلاحة .

لكن هذا لا يعني أن الرومان هم أول من سكنوا المنطقة وشيدوا بها العمران ، بل إستقر فيها. فيما يبدو– الإنسان القديم وعاش في المنطقة كهوفها ومغاورها –، كما تدل على ذلك بقايا أدوات الإنسان القديم ومخلفاته [3] وكذلك عاش في المنطقة

1)عبدلي ، لخضر .التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية بوهران ، سنة 2007، ص 40 .

2)الطمار، محمد . المرجع سابق ، صفحة 12 .

3)فيلالي ، عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 89.

بعض القبائل الزيانية وأسست فيها شبه الإمارات قبل العهد الروماني ، كما تبين بعض النصوص التاريخية [1] حيث قام الرومان بتخطيط مدينتهم " بوماريا " وتشيدها في منطقة فلاحية ، وبدأت على شكل معسكر رومانيا لتتحول وتتطور إلى مدينة ينمو عمرانها ويزداد عدد سكانها .

وعندما دخل الوندال في القرن الخامس الميلادي ، قاموا بتهديم أسوارها وتخريب عمرانها وهذا أضعف حيوتها وأنقص نشاطها ولم يعد لها ذلك الدور الذي كانت تلعبه في العهد الروماني .

وكانت "بوماريا" محصنة باسوار منيعة عالية مبنية بحجارة ضخمة وكذلك عثر الباحثون مدينة حيوية تتمتع بموقوماتها الحضارية [2] لأنها المدينة الأكتر أهمية في المغرب الأوسط ، قبل مجئالوندالوالبزنطيين دخلتها الديانة المسيحية وشيدت بها كنيسة في حدود القرن الثالث الميلادي .[3]

أما مدينة "آكادير" "أقادير" "أجادير" اليفرينة هي عبارة عن مدينة محلية إختلها الرومان .وقد تكون أقدم النشأة والتأسيس لأن سكان هذه المنطقة عرفوا الإستقرار البشري فيها قبل مجئ الرومان وربما إختطها بنو يفرن [4] إلا أنا نجد أن بعض النصوص التاريخية تشير إلى أنها بنيت قبل الإسلام [5] رغم ان عبارة قبل الإسلام غير محددة زمنيا تحديد دقيق ، ولهذا فقد تكون نشأة أكادير قبل العهد

1)فيلالي ، عبد العزيز . المرجع السابق، نفس 89 .

2)الطمار، محمد بن عمرو . تلمسان عبر العصور ، صفحة 11.

3)المرجع نفسه، الصفحة 11.

4)الوزان ، حسن.وصف إفريقيا، محمد حجب ومحمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ط2 جزء الأول،سنة 1983 ، صفحة 17.

5)إبن خلدون ، العبر . جزء السابع (7)، صفحة 156.

الإسلامي. وعليه يظل السؤال مطروحا: من شيدت مدينة "أكادير" ؟ وفي أي عهد؟ وهل نشأت قبل " بوماريا " أم بعدها ؟ .

الظاهر أن وجود مدينة " أكادير " كان قبل المرحلة الرومانية وبالتالي تعد أقدم من بوماريا لأن بعض النصوص تشير إلى تقدم نشأتها وأزليتها [1] بحيث تعود إلى عهد النبي موسى عليه السلام أي إلى آلاف الثانية قبل الميلاد.[2]

وتذكر بعض المصادر العربية أن إسمها فنيقي الأصل [3] كما يقر البعض الآخر أن أكادير يفرنيةزناتية الأصل [4] .

والظاهر أن إسم "أقادير" "أجادير" "اكادير" يتضمن معنى واحد مع إختلاف في نطق الحرف الثاني من الكلمة فقد كتب هذا الإسم بالقاف وكتبه البعض بالجيم لأن بعض سكان مدينة تلمسان كانوا ينطقونه بين الجيم والقاف وهي لغة العرب. [5]

أما النطق الصحيح للمدينة فهو بالكاف " أكادير " هو الحرف الذي كان جاريا على لسان أهل تلمسان وشيوخها .

ويتفق هذا الإسم مع موقع المدينة حيث تعني كلمة" أكادير " الهضبة القليلة الإنحدار وتنهض من السهل وتشرف عليه من ناحيتي الشمال والشرق . *

1)فيلالي ، عبد العزيز مرجع سابق ، صفحة 91.

2)إبن خلدون ، العبر . مرجع سابق ، صفحة 156.

3)المرجع نفسه ، صفحة 92

4)الحاج ، شاوش . المرجع سابق ، صفحة 49 .

5)و * المرجع نفسه ، صفحة 92 .

وفي معنى آخر "أقادير": الصخرة ذات إنحدار الوعر وهو إسم بطابق المسمى لفرط علوها من جهة الشمال وإشرافها على بسيط المنية .[1]

وبالاضافة إلى ذلك فيما يتعلق بمعنى "أكادير" فقد إختلف الباحثون الدارسون في تفسيرها فعند أحدهم تعني"الهضبة" أو "الجرف" وعند أخر تعني المخازن التي تخزن فيها الحبوب تحسبا لوقت الشدة ولأيام الحرب وإنعدام الأمن.[2]

كما نجد أن النفوذ الأجنبي من روما ووندال أطلق عليها بلغته إسم"أقادير" مايعادل العبارتين العربيتين "جدار القديم" "المدينة المحصنة" فالمعنى الأول يدل على أن "اقادير"مدينة عريقة في القدم أزلية [3] حتى دفع بعضهم من المؤرخين القدماء بأن الجدار الذي ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى:"... وأَما اَلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِيَتِمَيْنِ فِي اَلْمدِينَةِ ....." [4] والتي تناولت قصة الخضر وموسى عليهما السلام ، وهو جدار "أكادير" أو "تلمسان" .

كما عرفت بإسم أغادير* وأطلق عليها الروم إسم بمرايا بمعنى "البساتين" ثم سميت المدينة "تلمسان" وهذا الإسم في لغة زناته قوم الإقليم ، مركب من(تلم) ومعناها تجمع (سان) ومعناه إثنان أي تجمع الصحراء والتل كما نلمح الإختلاف

1)الحاج، شاوش .المرجع نفسه ، صفحة 49 .

2)مرجع سابق ، صفحة 93 .

3)مرجع سابق ، صفحة 12 .

4)سورة الكهف الاية 76 .

* أغادير: إسم فنيقي قديم دخل في لغة البربر .

الطيفي في كلمة "سان" فنجد من يكتبهما بالالف في الوسط ومن بحرف الالف ويكتفي بسين والنون "سن" ومن يكتبها بالياء "سين" والمعنى واحد.

وقد وقع إختلاف كبير بين المؤرخين في معنى كلمة تلمسان فمنهم من قال إنها (بفتح التاء وضم اللام) وإنها كلمة عربية مركبة من تلم أي تجمع وسان أي إنسان حدف منها آداة التعريف والهمزة والنون إختصار ومنهم من قال أنها (بكسرتين) علم زناتي مركب من تلم أي تجمع وسان أي إثنين ويعنون بذلك أنها تجمع بين السهل والجبل وقيل بين الصحراء والتل وقيل بين البحر والبر وكل ذلك تاويل بعيد والصحيح أنها لفظة زناتية وأن أصلها "تلمسين" جمع "تلمت" بمعنى عين أي ينبوع الماء الذي تحيط به أشجار. [1]

ويذكر المقري أيضا أنه يقال تلمشان وهو مركب من " تلم " ومعناها لها "وشأن" أي لها شأن .[2]

ويرى بعض الباحثين بأن كلمة تلمسان صيغة جمع للفظة البربرية "تلماس" ومعناها: جيب ماء أو (النبع الغدير) بالتعبير المحلي.[3]

ويذهب بعض الدارسين إلى أن كلمة "تلمست" وجمعها "تلمسين" ولفظة "تلمسين" وجمعها تلمسان تعني الأرض التي تنعم بكثرة المياه والأشجار. [4]

1)حاج ، شاوش . مرجع سابق ، صفحة 49 .

2) محمد ، الطمار . مرجع سابق ، صفحة 13.

3)فيلالي ، عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 93.

4)مرجع نفسه ، صفحة 93.

ويقول عنها إبنزكرياءإبن خلدون (دار مكلهم وسط بين الصحراء والتل) والتل تسمى بلغة البربر تلمسان كلمة مركبة من تلم معناه تجمع بين وسن معناه إثنان أي الصحراء والتل ..... [1]

عناصر المجتمع التلمساني:

إن موقع الجميل الذي تميزت به تلمسان ، وتوفرها على بساتين كثيرة ، وتعدد حقولها الواسعة وتميزها بسلاسل جبلية هذه الأخرى التي تتوفر على مناجم معدنية[2]، والمياه الغزيرة العذبة ، هذه العناصر جعلت تلمسان تتصدر مدن المغرب الأوسط وتتفوق عليها في المجالات مختلفة ، حتى صارت عاصمة للدولة الزيانية فتدفق عليها السكان من المناطق المجاورة والبعيدة ، وقد هيأت هذه الخصائص المجتمع التلمساني إلى نقله حضارية متميزة وجعلت المدينة تحتل مكانة إقتصادية معتبرة ودورة تجارية هامة. [3]

وإستقطبتإهتمام الناس عامة وأصحاب رؤوس الأموال خاصة من مختلف مدن المغرب الأوسط وأقاليمه ، وجلت إليها اليد العاملة ولاسيما وأن مدينة تلمسان تقع على الطريق التجاري الرابط بين فاس وتونس ، وتقترب من الموانئ الساحلية فقد كانت مدينتنا وهران وهنين من أهم الموانئ الزيانية.[4]

1)حساني ، مختار. موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر جزء الرابع ، سنة 2007 ، ص5 .

2)الوزان ، حسن ، مرجع سابق ، صفحة 24 .

3) فيلالي ، عبد العزيز . مرجع سابق ، ص167 .

4) أبو الفداء، تقويم البلدان، صفحة 70 .

والمدينة تلمسان لم تكن قبل العهد الزياني إلا مجرد مدينة إقليمية تحيط بها الأسوار لتحميها من الهجمات والغزوات ولم تتحول إلى ظاهرة مدينة كبيرة
ومعالم عمرانية واسعة لها وزنها ومحالها وتأثيرها في المنطقة ، إلا في العهد الزياني حيث تكامل أمرها واسع نسيج عمرانها حتى بلغ عدد سكانها في عهد أبي تاشفين الأول .مشيد القصور ومروض الغروس[1]نحو ستة عشرألف منزل[2] وقد إزداد نمو السكان بمدينة تلمسان وخاصة بعد إنتماء الحصار والأزمات ويعود الآمن والإستقرار فيتضاعف عدد السكان من جديد [3] فالنصوص التاريخية تشير إلى أن المجتمع التلمساني في العهد الموحدي بلغ عدد نحو مائة ألف نسمة موزعة بين أكادير وتاكرارت[4] ، وتطور هذا العدد في منتصف القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي إلى مائة وعشرون ألف نسمة [5] وهي أرقام تدل على تطور عدد سكان مدينة تلمسان ونموها بين القرنين السابع والثامن الهجريين، الثامن عشر والرابع عشر الميلاديين. وهذا ما دفع بالكاتب عبد العزيز لتغذره في إعفاء صورة واضحة وتامة عن عدد سكان مدينة تلمسان في قوله:" ...اللهم إلا تلك الإشارات العامة المقتضية التي تدل على النمو العمراني في المدينة بدون تحديد الفترة الزمنية وعدد الدور وإتساع العمران وإنتشار داخل

1)إبن الخطيب ،لسان الدين .اللمحة البدوية في الدولة النصرية القاهرة ، سنة 1347 ، صفحة 96.
2)حسن ، الوزان. مصدر سابق، صفحة 17 .
3) مصدر نفسه، صفحة 19 .
4)فيلالي ،عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 169 .
5)مرجع نفسه،صفحة 169 .

المدينة بصورة غير دقيقة كما نجده في النص التالي:"فلم يزل عمرانها يتزايد وخطتها تتسع ورحل إليها الناس من القاصية ،لحسن موقعها وعذوبة مائها، وطيب هوائها ، وإختطت بها القصور والمنازل العالية وغرست بها الرياض والبساتين ، وفاحت برحيها الأزهار والرياحين ، فكان واسطة سلك وقاعدة ملك "[1] .

الأصول العرقية للمجتمع التلمساني:

إذا أردنا الحديث عند الأصول العرقية للمجتمع التلمساني فنجدها متشبعة ، في حالة تمازج بين السكان الاصليين من البربر وبين الأجناس الأخرى التي حلت بها منذ الفتح العربي الإسلامي في نهاية القرن الأول الهجري "السابع ميلادي"، رغم أن سكان الدولة الزيانية في المرحلة الأولى أي قبل الفتح الإسلامي لها كانوا يتشكلون من العناصر المغربية المتمثلة في البربر والعناصر الأجنبية المتمثلة في الرومان، كما يمكننا الإشارة إلى أن أهل تلمسان كانوا ينتمون إلى ثلاث عناصر العنصر البربري ، العنصر العربي ، العنصر التركي [2] وهذا ما سنحاول التعرف عليه بالتفصيل .

1) العنصر البربري:البرابر أجناس كثيرة سكنت المغرب الكبير منذ أقدم العصور ومن حملة تلك الأجناس زناتة التي إستوطنت المغرب الأوسط بالخصوص قال عنهم العلامة عبد الرحمن إبن خلدون في كتاب العبر "والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه لينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة " [3]

1)فيلالي ، عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 169.

2)حاج ، شاوش . مرجع سابق ، صفحة 358 .

3)ابن خلدون ، مصدر سابق . العبر ، جزء 7 ، صفحة 2 .

وقد أطلق إسم زناتة على السهل الواقع في الشمال الغربي من تلمسان كما أن هذه المدينة أسسها في العصور القديمة بنويفزن الذين يشكلون فرقة زناتية ولا سيما منهم مغيلةومغرارة*[1] بإضافة إلى رواغة تفزة* .

ولقد أشار الشاعر بكر بن حماد التاهرتي إلى هذه الفرق جميعها في قصيدته له يمدح بها الأمير أبا العيش صاحب جرارة وتلمسان [2] ، وإستوطنها بعدهم بنو عبد الواد ،الزيانيون ،وقبائل أخرى من بني عمومتهم بني توجين ، وبني راشد وبني زردال ، وبني عصاب وجماعة من اولاد منديل وغيرهم من الزيانيين الذين تركوا خيامهم وسهولهم. [3]

وبعدها نقل إليها السلطان أبو حمو الأول(707 – 718 هـ/1307 –1318) جالية كبيرة من "رهائن الوطن كله حضرو بدوا " [4] حيث سمح لهم السلطان بناء المنازل وإنشاء الدور وإتخاذ النساء وتشيد المساجد ، وإقامة المصانع والأسواق بالقصبة [5] ، فظل النزوح مستمرا فيها في عهد بني زيان ، حيث كانوا الناس يأتونها من كل قاصية للاستقرار بها ، لأن التحرك بين أجزاء المغرب والعالم الإسلامي ، بصفة عامة والرحلة في طلب العلم والوظيف والتجارة كانت

1)فيلالي، عبد العزيز ،مرجع سابق ، صفحة 170 .

* مغرارة أو جراوة :يوجد من يسميها مغرارة ويوجد من يسميها جراوة

* فرق زناتية

2)حاج ، شاوش . مرجع سابق ، صفحة 358 .

3) مصدر سابق ،صفحة 94، 188، 139 ، جزء 7 .

4) يحي بن خلدون ، بغية الرواد ، جزء 1 ، صفحة 214 .

5)مصدر نفسه، جزء 7، صفحة 215 .

من الأمور المحمودة عند المسلمين، حتى صارت مدينة تلمسان تعج بالعلماء والطلاب والتجار وأرباب المهن.

ولاتزال إلى يومنا هذا عدة قبائل زناتية تقطن الجبال الواقعة في نواحي تلمسان الغربية والشمالية لبني سنوسومسيردة وأهل جبل فلاوسن المشرف على مدينة ندرومة وما جاورها من جبالة والسواحلية وترارة وبني وارسوسوولهاصة وإن كثيرا من هؤلاء القبائل إنتقلوا إلى تلمسان وإستطونهاوإندمجوا في أهلها إندماجا كليا بعد أن تحضروا باشروا نفس الأعمال التي يباشرهاغيرهم من سكان البلدة[1]

2)العنصرالعربي:أما العنصر العربي فقد حط هو الأخير عصا الترحال بمدينة تلمسان، منذ دخول الفاتحين المسلمين لها في عهد أبي المهاجر دينار (55-675/62-681)والقائد موسى بن نصير (86-96 هـ /705-715) الذي جعل من منطقتي طنجة وتلمسان إقليما إداريا واحد وعين عليه طارق بن زياد ،وكان هذا الآخير يقسم وقت إقامته بين مدينتي طنجة وتلمسان. [2]

وإستمر العنصر العربي في التدفق إلى بلاد المغرب في عهد الولاة خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي [3] من الحجاز ومصر وخرسان والشام والعراق، مع القواد كلثوم بن عياض (123 هـ/744) وحنظلة إبن صفوان [742/124] ومحمد بن الأشعت الخزاعي (155هـ/772 م)

1) حاج ، شاوش ، مرجع سابق ، صفحة 359 .

2) فيلالي ، عبد العزيز ،مرجع نفسه ، صفحة 172 .

3) القيرواني، الرقيق .تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، دار النشر ، الكعبي تونس ص112.

وروح بن حاتم (172 هـ/790م(1)) أما في أوساط القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي حين غراها بنو هلال وأحلافهم حيث أنه إستوطن نواحيها الشرقية والجزئية عدد لا يحصى منهم ، فنجد منهم جملة قبائلهم بنو وعزان وأولاد سيد العبدلي وأولاد الميمون وبنو عزلي وبنو ورنيد وبنو هديل وغيرها وقد دخل فيها بعد الكثير من أفراد هؤلاءالقبائل إلى المدينة وإختلطوا بأهلها إختلاطا كليا بالنكاح والمصاهرة ، وكذلك نجد قبائل بني هلال وبن سليم العربية كان لهم نصيب في الإستقرار بالمنطقة وحتى قبائل زغية والمعقل وحميان وبنو عامر [2] التي قام يغمراسن بإستقلالهاوالإستفادة من خدماتها .

وبإضافة إلى هؤلاء الأعراب المتحضرين المهاجرين الأندليسون الذين هربوا من وطنهم في أواخر القرن التاسع وطيلة القرن العاشر للهجرة وأواخر القرن الخامس عشر وطيلة القرن السادس عشر ميلادي وإلتجأوا إلى تلمسان بعد عبورهم البحر وتعرضهم للأخطار ،وكان هؤلاء الأندلسيون أهل حضارة عريقة في العلوم والفنون والصنائع فنشروا حضارتهم هذه في الأوساط التلمسانية وهذا ما دفع بتلمسان الى التقدم والرقي في جميع الميادين حتى أصبحت تضاهي بقية العواصم العربية الإسلامية كغرناطة وتونس وفاس .

1)المرجع السابق ، صفحة 172.

2)إبنخلدون . المصدر السابق ، جزء 7 ، صفحة 175 .

العنصر التركي:حيث ما إستولى الأتراك العثمانيون على مدينة الجزائر أثناء القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) فإن نفوذهم إمتد إلى تلمسان التي كانت بها دولة بني زيان على وشك الإنهيار حيث بلغ بها الضعف إلى أن صارت تحتمي ثارة بالإسبان المسحين النازلين بوهران والمرسى الكبير وطورا تستغيث بالاتراك النازلين بالجزائر وبقيت هكذا إلى أن لفظت أنفاسها الأخيرة وإستولى الأتراك نهائيا على عاصمتها تلمسان [1]وإشتمل المجتمع التلمساني على بعض العائلات الغربية، التي قدمت من بلاد المشرق وهي القبائل التركية التي كانت تسكن قبل إنتشار الإسلام [2] فنشأ التناسل حيث قام الجنود الأتراك بالإرتباط بنساء العربيات أو البربريات مستعربات. وهذا ما جعل عددهم يتزايد طيلة الحكم التركي الذي دام أزيد من ثلاث قرون وكانوا يشكلون دورا مهما في الحياة الإجتماعيةبتلمسان وشاركوا في جميع الميادين الفكرية والتجارية والصناعية وحتى الفلاحية بحيث صار يحسب لهم حساب خصوصا في ميدان الإدارة وتسيير الأمور الإقتصادية .

عناصر أخرى:

تمثلت في المسيحيين الذين سكنوا تلمسان وظلوا معمرين فيها بعد فرار البعض منهم نتيجة الفتح العربي الإسلامي وكانوا ينقسمون إلى أربعة أقسام:

1) حاج ، شاوش . مرجع سابق ، صفحة 360.

2) فيلالي ،عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 18.

1) الجند:

تمثلت في فرق عسكرية مسيحية كانت مهمتهم الحراسة والدفاع عن المملكة إلى جانب الجيش المحلي ، كما بنيت لهم كنيسة في المدينة ليؤدوا شعائرهم الدينية ، وكانت أول كنيسة مسيحية تبنى في المغرب الأقصى في العهد الإسلامي. [1]

وبإضافة إلى هذه الفئة نجد رجال الدين هي الأخرى كانت تمثل جزءا من المجتمع التلمساني وقتها وإلى جانب هذه الفئة نجد اليهود الذين جاءوا مع الفنيقين منذ العهد القديم إلى بلاد المغرب ، ولعل إستقرار اليهود بالمدينة كان قبل الفتح العربي الإسلامي هي لها ، وتزايد عددهم في عهد الدولة الموحدية[2] وتضاعف عددهم خلال سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492 م وكان من بينهم العلماء والأطباء وحتى التجار والحرفيين الذين عملوا على تنمية الصناعة المحلية وتدعيمها تنمية حركة التجارة وتطويرها إلى جانب التجار المحلين وربطوا علاقة إقتصادية قوية بين المغرب الأوسط وأروبا .

هذه هي العناصر الأساسية التي كان يتشكل منها المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني بما فيها عناصر الهجرة الداخلية والخارجية المستمرة إلى مدينة تلمسان للاقامة بها ، قدمت جلها من أقاليم وأقطار مغربية وإفريقية وأندلسية ومشرقية ومسيحية أروبيةعلى شكل قبائل وجماعات وأسر وأفراد.فكثيرا ما نلمح في تراجم علماء تلمسان وأدبائها ووجهاء القوم فيها وكتب الطبقات إنتساب العديد منهم إلى قبائل ومدن متبانية ، كالأبلىوالعجيبسيوالتنسي والسبتي والفاسي والوهراني والبجائي والمصمودي والصنهاجي والتونسي والمصري والكردي القصباني وغير

1) مرجع سابق، صفحة:193 بقلم basset (R) Nedromahet les traras P97

2)مرجع نفسه، صفحة: 193

ذلك .إلا أن سكان تلمسان بمختلف فئاتهم وإنتماءاتهم العربية كانوا يستعملون لغاتهم ولهجاتهم الخاصة ويتم ذلك على نطاق ضيق، أما اللغة المتداولة والمستعملة بصفة رسمية في المجتمع التلمساني فهي اللغة العربية . إلى جانبها اللسان الزناتي لأن أغلب سكان المدينة كانوا من زناتة ومن العرب فقد جمعهم الدين الإسلامي، وجعل منهم مجتمعا موحدا في العادات والتقاليد والمملوكات، لأنها لسان الملة وبها نزل القرآن الكريم [1] وداخل هذا التنوع اللغوي والتعدد الجنسي في المجتمع التلمساني نجد تعدد الفئي أي (تنوع فئات المجتمع التلمساني وشرائحه) وهذا ما وضحه إخوان الصفا عن الطبقات الإجتماعيةبقوله:"الناس أصناف وطبقات، منهم أرباب الصنائع والحرف والأعمال ومنهم أرباب التجارات والمعاملات والأموال،ومنهم أرباب البنايات والعمارات والأملاك،ومنهم الملوك وسلاطين ومنهم الزمني والعطل وأهل البطالة والفراغ ومنهم أهل العلم والدين"[2] رغم أن ديننا الإسلامي كان يدعوا إلى أن نكون أمة واحدة، إلا أن واقع الحياة وظروف المعيشة والبيئية.وسلوك الفرد ، وطموحاته وإجتهاده في طلب المعاش أفرزت فئات إجتماعية متباينة ، في مدينة تلمسان وغيرها .ومن بين هذه الفئات نجد فئة الحكام التي تتمثل في السلاطين والأمراء ثم يليها فئة الموظفين والمهندسين ورجال العلم والفكر والأدب ثم تظهر فئة جسدها الواقع الإقتصادي وفرضها النشاط التجاري، والتي هي فئة التجار وإلى جانب هذه الفئة نجد فئة الصناع وأصحاب الحرف، والذين كانوا تجار في نفس الوقت يمارسون مهنتهم

1) عن حروب موسى بن علي الغزي ضد بني مرين وبني حفص أنظر: يحي بن خلدون : بغته الرواد جزء 1 ، صفحة 213–219 .

2) فيلالي ، عبد العزيز . المرجع السابق ، الصفحة210.

في أسواق كانت مقسمة على عدة طوابق فنجد العطارين ، والقبابين والإسكافين ، والسراحين والنجارين والدرازين ، والحدادين والدباغين والصباغين والصائغين عبر أحياء المدينة وحارتها .فكانت جميع الصنائع موزعة على مختلف الساحات والأزقة الموجودة في المدينة ، وهذا التنوع ماهو إلا دليل على إزدهار الصناعة والتجارة في هذه المدينة .وقد عبر عن هذه الفكرة المؤرخ مبارك الميلي في كتابه "تاريخ الجزائر" قائلا عنها :" فلاحية بطبيعة أرضها ، تجارية بطبيعة موقعها ، صناعية بطبيعة سكانها " .[1]

ويبدو أن تلمسان لا تختلف عن الحواضر الإسلامية الأخرى بالنسبة للنشاط الصناعي [الصناعة] وعلاقتها الجيدة مع الدولة الأروبية [التجارة].ولزيادة نسيج خيوط هذه الفكرة وجب علينا القيام بدراسة وتفتيش عن واقع الصناعة التقليدية بالمنطقة ومن هذا المنطق يطرح السؤال التالي: **ماهو واقع الصناعة التقليدية في المنطقة؟**

1)أهمية الصناعات التقليدية لدى المجتمع التلمساني:

لاشك أن أهمية الشيء تنبثق من مدى الإهتمام به وهذا ما يتضح لنا من خلال إهتمام شرائح المجتمع التلمساني بهذه الحرف والصناعات ، والقيمة التي كانوا يولونها لهذا المجال بالخصوص . بالرغم من تعدد شرائحه وتنوعها كما ذكرنا سابقا وأهميتها تنبثق من مردودية هذه الحرف سواء كانت مادية أو معنوية أي

بمعنى آخر أهمية هذه الصناعات تكمن في إنتاجها الثقافي والإجتماعي وما تمده للمجتمع من عناصر مهمة تحرك كيانه وترفع من قيمته وتزيد شرائحه عنا ومكانة سواء داخل المجتمع ، او عامته وهذه الأهمية إنتشرت في أسلوب مدى إقتحام فئات

1) لمبارك ، الميلي . تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، دار النشر الجزائر، جزء2،ص377.

المجتمع بمختلف أجناسها وتعدد شرائحها للخوض في إمتهانهاوحرفيتها لهذا النوع من الإنتاج وكان ذلك واضحا لدى المجتمع التلمساني من خلال تشيد دار للصناعة في عهد أبوحمو موسى الثاني الذي إهتم بالصناعة وشجع أصحابها ومتهينها على إختلاف أجناسهم ولغاتهم وديانتهم وصناعتهم فكان العمل فيها نشيط كما ذكرنا سابقا وهذا إن دل إنما يدل على مدى إهتمام المجتمع التلمساني بالصناعات منذ العهود الأولى وإن كان غير هذا فما تفسيرنا لتعدد الورشات والوحدات الصناعية للمدينة التي كانت تحمل إسم كل حرفة خاصة بها فنجد الخرازون ، السراجون وسوق الغزل وحمام الصباغين وحي الفخارين ورأس الصاغة وجامع الحدادين .....إلخ .من الدروب والأضرحة وجوامع التي كانت تحمل معها إسم الحرفة والصناعة التي كانت قائمة داخلها ولا تزال بعض الأماكنتحمل إسمها إلى يومنا هذا .

كما لا ننسا أن هذه الصناعات قد عادت على أصحابها بفوائد كبيرة وخاصة في الجانب المادي ، أما المعامل الخاصة فكانت كثيرة ومن الطبيعي أن تكثر الصنائع وأن يتأنق أصحابها فيها فإن العمران قد تزايد ودواعي الترى والثروة قد توفرت في المدينة وقد خطا أهلها خطوات شاسعة حديثة في طريق الحضارة وذلك بمقتضى قاموس التطور الطبيعي من ناحية ويعامل الإتصال الدائم بالخارج المتحضر من ناحية أخرى ، وقد عثر في مختلف المتاحف الوطنية على تحف تلمسانية من صفر وخزف ونسيج وتطوير وحلي تدل على يد عاملة ماهرة [1]كما أن المرأة التلمسانية هي الأخرى لها دور في تفعيل هذه الصناعات نظر للاهمية التي كانت توليها لهذه

1) محمد ، الطمار. مرجع سابق ، صفحة 186 .

الحرف فإنك تجدها تشرى الصوف وتتصرف فيه بالغسيل والمشط والغزل والنسيج ثم يسوق بعد ذلك [1] وهذا دليل على أن الصناعة لم تكن من إختصاص الرجال وحدهم ، فالنساء أيضا كن يشاركن فيها وكانت لهم يد ماهرة في صنع الأثواب الصوفية ، والتطيز والخياطة وذلك في عقر بيوتهن فثبيتهن العفة والتشبيث بالسنة والتقاليد الإجتماعية الموروثة ، كما أن التبادل الذي كان قائما على صعيد البلد شجع الصناعة ووجهها وأعان على توزيع ثروات البلاد على جميع المناطق وهكذا كانت تدخل الفرحة إلى جميع البيوت، والتجارة كانت تعد مصدر من أهم المصادر الثروة تدر على أصحابها بالمال الوافر والتجارة لم تكن فائدة على الشعب فقط بل كانت فائدة على الخزينة كذلك. وهذا ما يدفع إلى إزدهار البلاد إقتصاديا .

والإزدهارالإقتصادي يضمن الإزدهارالإجتماعي والثقافي معا . فنجد الدولة تهتم بتشيد المدارس والمساجد والحمامات .

2) واقع الصناعة التقليدية بالمنطقة:

إن كان إعتماد السلطان أبوتاشفين الأول على المشاريع العمرانية وهذا ما أكده إبن خلدون في قوله:"أنأباتاشفين الأول كان مولعا بتجير الدور وتشيد القصور مستظهرا على ذلك بالآلات من فعله الأسرى من نجارين وبنائين وزلجين وزوقين فخلد آثار لم تكن لمن قبله ولمن بعده كدار السرور وأبي فهر والصهريج الأعظم"[2] فإن أبو جمواموس الثاني إعتن بالصناعة وقدر أصحابها (أي الحرفين) وشجع على إحترافها ، بل وضعهم في فئة إجتماعية تلي مرتبة الأشراف والفقهاء

1) فيلالي ،عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 222 .

2)حساني، مختار .مرجع سابق، صفحة16 .

مباشرة ،وقام يتشيد دار الصناعة سنة 766هـ /1365 م وهي داراستقطب لها الصناع ، على إختلاف أجناسهم ولغاتهم وديانتهم وصناعتهم[1] ، وقد وصف يحي بن خلدون هذه الدار وصفا دقيقا بقوله:"إن دار الصنعة السعيدة ، تموج بالفعلة على إختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم ضمن دراف ورماح ودراع ولجام ووشام ، وسراج وخباء ونجار وحداد وصانع ودباج وغيرذلك فتصطك لاصواتهم وآلاتهم الأسماع ، وتجار في أحكام صنائهم الأذهان ، وتقف دون بحرهم الهائل الأبصار . ثم تعرض قومتهم أصيلان كل يوم مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة (أي السلطان) أيده الله... ويصنف العاملين من أرزاقهم عدلا هكذا ابدا "[2]ففي عهد الأدارسة شهدت تلمسان حركة تجارية كبيرة شملت كل أنواع
المصنوعات التقليدية حيث كانت القوافل تغش السودان بسلعها المصنوعة بأقادير* والواردة عليها من مختلف البلدان من منسوجات صوفية وقطنية وكتابية وفخارمطلي وحلي ذهبية وفضية وأواني نحاسية وخشب منقوش مرصع بالعاجومصنوعات حديدية كالاسلحة والأقفال وأفاريج وملح وعطور وبخور [3] أماالقوافل الأخرى فكانت تقصد مصر لجلب كل المنتوجات التي كانت تنقص أسواقأقادير وهذه السلع الصادرة والواردة تحمل معها آثار شعوبها ، كما أن موقعها القريب من الموانئ

1)حاجيات ، عبد الحميد . ابو حمو موسى الزياني حياته وأثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة1394 هـ / 1974 م ، صفحة 58 .

2)إبن خلدون . بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، جزء2 ،مطبعة الجزائر،سنة 1915 ص 161.

* هو الإسم الذي عرفت به تلمسان لما استقر بها البربر .

3) محمد ، عمرو الطمار. تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، سنة 1984 ، صفحة33.

الساحلية الشمالية ووجودها في مكان تلتقي فيه ، الطرق التجارية الكبيرة جعل منها مركز أعمال ومقر صناعة وتجارة هامة وأن تكون سوقا عالمية لمختلف السلع والبضائع المتباينة القادمة من وراء البحر الأبيض المتوسط ومن بلاد المغرب والمشرق وجنوب الصحراء .أما التجار إشتهروا بنزاهة وحرصو على حسن سمعة مدينتهم ففي بداية القرن السادس عشر ووصفهمحسن الوزان بأنهم "أغنياء بالمال ومياسير بالاملاك ومنصفون ومشهورون بنزاهته وإستقامة أعمالهم الفريدة وساهرون على وفرة السلع بمدينتهم بطيبة كبيرة عجيبة"[1] وهذه المدينة عرفت أسواقا ودكاكين وحوانيت ، كانت تابعة لأرباب الصناعة والتجارة ، كانت موزعة على أحياء المدينة ودروبها في الأسواق العامة المتخصصة لها ، وتتركز معظم الأسواق بوسط المدينة موزعة على الساحاتوالشوارع كسوق الخياطين والنساجين والعشابين والعطارين والصاغة وسوق الخضر والفواكه والحبوب ورحبة الزرع [2] ولا تزال إلى يومنا هذا كثير من الأمكنة والأحياء والحارات والأسواق والأبواب وطرق وجوامع وحمامات بتلمسان تحمل إسم الحرفة والصناعة التي كانت قائمة بها في العهد القديم ومن بينها نذكر:

1) **طريق الأرحاء:** التي بها عدة أرحاء تطحن الحبوب وهذا النوع يحتاج إلى المياه التي كانت تدار بقوته ونجدها على ضفاف الأودية كضفة واد الصفيف[3] كما أن رخامة الأوقاف المتنية في إحدى سوارى جامع سيدي بومدين تحدثنا أنه

1) عن جورج المارسيمآخوذة من: الحسن الوزان . وصف إفريقيا ترجمة محمد حجب ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي بيروت ، جزء 2 ، سنة1983 ، صفحة 99 .

2) فيلالي ،عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 134 .

3)مرجع نفسه ، صفحة 135

كان من جملة الأحباس رحي بطريق الوريط ورحي آخر خارج باب كشوط أو باب أبي جمعة الحالي وحيث أن الطحين في حاجة إلى آلة ينحل بها وهي الغربال فكان صانع هذه الآلة يدعى الغرابلي. * [1]

2)**طريق أو نهج المعصرة** : أي معصرة الزيتون لإستخراج الزيت وكانت هذه المعصرة داخل المدينة بنهج عيسات إيدير كما كانت توجد معصرة أخرى بنهج مسجد أولاد الإمام .[2]

وتجمعت هذه المعاصر حول الأبواب وخاصة في الجنوب الشرقي من المدينة حيث يوجد وادي مشكاتة .[3]

3)**ذراع الصابون**: وهو إسم المكان الذي كان يصنع به الصابون وكان هذا خارج باب القرمدين فيما بينهما وبين باب سور الحمام أو باب سيدي البرادعي وكان عدد صانعي الصابون خمسة أوائل عهد الإحتلال الفرنسي وكان المعمل الذي يصنع فيه الصابون يسمى "دار الصابون" .[4]

4)**سوق الغزل**: كانت هذه الحرفة من إختصاص النساء فهن اللاتي يغسلنها وينظفنها بعد أن ينقينها من الشوك وغيره بواسطة آلة تدعى المنذلة* بعد ذلك يبخرنها بالكبريت على آلة تدعى المسخنة كي يتضح لونها ثم بعدها تقردش بآلة

* يوجد إلى اليوم بتلمسان ضريح يدعى صاحب الغرابلي

1) حاج ، شاوش . مرجع سابق ، صفحة 324

2)مرجع نفسه ، صفحة 329

3)فيلالي ،عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 135

4) مرجع نفسه ، صفحة 330 .

* المنذلة: إسم آلة مركبة من يد من الخشب ومشط من الحديد

من اللوح مركبة من جزئين تسمى قرداش* ومنهم من يغزلها بآلة تسمى المغزل* وإضافة إلى هذا نجد حمام الصباغين أين كانوا يقومون بصباغة الصوف المغزول لينسج بعدها ويشكل أغطية ذات الألوان المختلفة .

أما سوق الحدادين وأدوات النحاس والصباغين فتقع شرق المدينة وقد نجد مثل هذه الحرف منشرة في أحياء متباينة من تلمسان مثل سويقة إسماعيل ، وسوق السراجين والقبابيين وسوق منشار الجلد وسوق الكتب .

وتوجد الأفران المتعلقة بطهي الخزف والفخار والقرميد والآجر خارج أسوار المدينة ولاسيما في الشمال الغربي بالقرب من باب القرمدين وفي الجنوب الشرقي أمام باب العقبة. [1]

وكانت بعض الحرف ملكا لاشخاص كعائلة أبي زيد النجار الذي يملك ورشات صناعية لغزل الصوف الرقيق ونسجه وبيعه لمختلف الأقطار[2] وما من شك أن هذه التجارة داخل البلاد وخارجها قد غيرت من المستوى المعيشي للمجتمع التلمساني ، كونها درت عليهم بثروات وأموال ضخمة ، فعم المدينة الرخاء ولهذا كله قال عنها الشريف الإدريسي :" لم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة "أغمات" و"فاس" أكثر من أهلها أموالا ولا أرقة منهم حالا " وإستمر هذا الإنعاش الإقتصادي

* قرداش: آلة ذات أسنان صغيرة من الحديد تصلح لمشط الصوف

* آلة معروفة لغزل الصوف تصنع من الخشب.

1) Bouali (S-A) les deux grandes sieges de tlemcen E.N.A.L Alger 1984, page : 4

2) الخطيب،إبن مرزوق . المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا أبي الحسن ،خزانة جامعة الجزائر ص

خاصة في الصناعات التقليدية على إختلاف أنواعها فقد أحدق الصناع في النسيج والدباغة والنحاس والأسلحة كالسيوف والبنادق[1]ولعل السبب في ذلك يرجع إلى المهارة اليدوية والفنية التي كان يتمتع بها حرفي تلمسان نظر لتحكمهم في تقنيات الصناعة وفي مختلف وسائل الإنتاج ، إلى جانب الإمتيازات التي كانوا ينفردون بها.وهكذا دونك إستمرت الحركة التجارية في الدوران ولعبت دورا هاما في الحياة الإقتصادية للمدينة وهذا راجع إلى الأهمية التي كان يوليها المجتمع التلمساني لمثل هذه الصناعات وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في عنصر موالي.

3)أهم الصناعات التقليدية في تلمسان:

تعتبر مدينة تلمسان مركز أعمال ومقر صناعة وتجارة هام بالمغرب الأوسط .فقد سهل لها موقعها القريب من الموانئ الساحلية الشمالية ووجودها في مكان تلتقي فيه الطرق التجارية الكبيرة.أن تكون سوقا عالمية لمختلف السلع والبضائع المتباينة القادمة من وراء البحر الأبيض المتوسط ومن بلاد المغرب والمشرق وجنوب الصحراء ، كما أن تلمسان تعتبر مدينة الفن والتاريخ الحضارة وهكذا تعرف في وقتنا الحاضر ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما عرفته –عبر مرور العصور – من تعاقب لحضارات مختلفة تركت كل واحدة منها آثار لا يزال الكثير منها قائما يشهد على مدى التطور الفني الذي حضيت به والإزدهارالإقتصادي الذي كانت تنعم به وهذا ما كانت تمثله الحركة التجارية القائمة في ذلك الوقت

1)الطمار ، محمد عمرو . مرجع سابق ، ص237 .

حيث كانت هناك ساحة تدعى ساحة القوافل (ساحة الجزائر (باب الإحتلال) كان ينزل بها التجار الآتون من الصحراء ولا سيما قبيلة بني حميان الذين كانوا يأتون بجمال محملة بالبضائع من الصوف ودهان وتمر والجلد المعروف بالفيلالي * وبعد أن يبيعوا تلك البضائع يشرون الحبوب والأقمشة والأواني المعدنية ويعودون إلى بلادهم بجمالهم الحاملة تلك البضائع [1] وهذا دليل على حفاظ الحرفيوا المدينة على صناعتهم التقليدية .

كما لعبت القيسارية(شارع معسكر في ذلك الوقت) دورا هاما في الحياة الإقتصادية للمدينة ، إذ أنها إستقطبت معظم –إن لم نقل كلها – الحرف التقليدية فكان يتواجد بها البلاغجية[2] والخياطون والصناعة اليهود والطرازون بالخيط الذهبي [3] إلى جانب صناعات أخرى كالسراجة والنقش على الخشب والصناعة النحاسية . لكن التساؤل الذي يبقى مطروحا هو هل هذه الحرف لا تزال باقية إلى يومنا هذا أم أنها تلاشت وإضمحلت ولم يبقى لها وجود وقيمة ؟ بمعنىآخر هل وجودها ثابت أم هي على وشك الزوال في ظل التغيرات الجديدة ؟ وللإجابة علىهذه الإشكالية وجب علينا التفتيش والبحث عن أهم الصناعات التي مازالت قائمةبالمدينة بالرغم من وجود الصناعات الداخلية .

ومن بين الصناعات نجد :

* جلد أحمر اللون كان يصنع بتافيلات فنسب إليها .

1)حاج ، شاوش . مرجع سابق ، صفحة 186 .

2) أطلق عليهم هذا الإسم لأنهم كانوا يهتمون صناعة "البلغة" وهي نوع من الأحذية .

3) Louis, ABADIE, Tlemcen au passé retrouvé, Edition : Jacques Gandini,1994, p21

1)الصناعات الفخارية:

أي صناعة الأواني الفخارية وهذا النوع من الصناعة عرف تطورا كبيرا حيث كان يعتمد ممتهنون على المادة الخزف التي تعتبر المادة الأساسية في تشكيله ولا يزال هذا الحي يحمل هذا الإسم إلى الآن كما أن الأسرة التلمسانية تحمل هذا الإسم هي الأخرى وبهذا الحي بني الآربويون دورهم ومساكنهم ومكاتب إدارتهم [1] . وإشتهرت بهذه الصناعة مدينة ندرومة القريبة من تلمسان ، ونجدها تتربع في مناطق أخرى بإنتاجها المتنوع كما ونوعا وألوانا وزخرفة ،وتدخل التقنيات الطبيعية كعامل رئيسي من حيث نوعية الأتربة والحصى التي تجوف وظهرت فيها أنواع خاصة وعامة[2] وتعتبر منطقة الخميس والعزايل من أهم المناطق التي لها هي الأخرى مساهمة ضخامة في إنتاج هذا النوع من الحرف .وتزداد نوعية الإنتاج في نواحي رمشي التي تتكلف بصناعة الزهريات والأشياء الزخرفية المنزلية والأكواب والصحون والقلال.وفي مقابلها نجد منطقة بن سنوس هي الأخرى إختصت في هذا المجال وتفننت في إعطاءه نوعا من المكانة والرقي داخل المجتمع.وأهمماقيل في هذا المجال:"قلوشقلوشي وفيه تخزن زبدة عجوزتي " مثل يقال على نوع من الأوانيلتخزين الزبدة المحلية كما اننا نجد أن الدولة قد أعطت نفسا صناعية لبناء مركزين للتكوين واحد بمنطقة مسيردة دائرة باب العسة يتكفل بصناعة الخوابي لتخزين الماء

1) شاوش ، حاج بن رمضان . مرجع سابق ، صفحة 330.

2) عقاب، محمد الطيب . الأواني الفخارية الإسلامية دراسة تاريخية فنية مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1984، الصفحة 115 .

وزيت الزيتون والمجاميروالطواجين بأنواعها وأحجامها [1]وظلت هذه الصناعة تشهد رواجا كبير في المدينة بصفة خاصة والجزائر بصفة عامة مما أعطى لها وزنا في الإقتصاد الوطني وزاد من تطورها وإنتاجها وفتح ورشات خاصة بها وهذا ما شهدته المراكز التكوينية في هذا المجال وبعض الغرف الصناعية التي لا تزال إلى يومنا هذا قائمة على دعم وتشجيع مثل هذه الصناعات وهذا للمحافظة عليها من الإندثار والتهميش .

1) صاري ، الجيلالي .الإنسان والبيئة دور البيئة في الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، سنة1983 صفحة 117 .

2)صناعة الزرابي:

هي صناعة تنبئنا عن صناعة الصوف وما يتبعها من النسيج وكانت هذه الحرفة من إختصاص النساء ، وهذا النوع من الصناعة بقي محافظا على مكانته وأصالته ومن حيث الشكل والزخرفة الهندسية والنباتية والكتابية إلا أن الإختلاف كان يكمن في تميزها من قطر آخر فنجد الزربية بني يزقن وزربية غرداية وزربية النمامشة(تبسة وخنشلة)ومعديد(مسيلة وبرج بوعريريج)وزربية قرقور (سطيف) أما عن تلمسان فقد عرفت هي الأخرى هذا النوع من الصناعة منذ العهود القديمة ، ويحي بن خلدون وليون الإفريقي يخبرننا بأنه في القرنين الرابع عشر والسادس عشر كانت صناعة الزرابي نشاطا ذو أهمية بالغة لدى سكان المدينة [(1)] ولا تزال الزربية التلمسانية تحتل الصدارة الأولى على مستوى الوطني في الإنتاج خاصة في العشرية الماضية حيث بيع 472 ألف م^2 في سنة 1971 وهذا العدد يمثل 75% من مجموع الصادرات الجزائرية ، ونجد المعامل تنتج صناعة تمتاز بصدفها الكامل للرسوم والألوان والأشكال والقياسات حسب الطلب المتزايد ويشغل بها حوالي 10 آلاف عامل كما أنه إرتفع هذا الإنتاج إلى 147200 م^2 في 1991م وتوسعت نقاط الإنتاج وهذا راجع لإعتمادها على المادة الخام من المواد المحلية كالأصواف التي تجلب من الأسواق العمومية ، بإضافة إلى هذه المواد نجد إعتمادها تمركز على الأصواف المنشوفة وعلى خيوط القطن التي كانت تستورد من الدول العربية كسوريا حين قدرت قيمة صادرات التي تمثل [3/1] . [(2)]

1) Tlemcen : au passé rapproché 1937 – 1962, p69

2)رحمه ،إنطوان .الفروق الفردية وقياسها وخصائصها، بيروت لبنان،سنة 1982،ص 103.

وهناك نوع آخر من إنتاج هذه الحرفة والذي كان يتداول في المناطق الريفية بعيد عن المدينة تحت يد متفننة وبسيطة بأدوات خشبية محلية مغطاة بنبات الديس والدوم والمحزومةبالظفائر في منطقة تل تيرني والسهب وعين غرابة والغرايل والخميس وتمتاز صناعتها بوجهين وعقد صوفية بالخيوط المغزولة باليد المحلية ، وهي غليظة من الأولى وتنسج في منسج الحصيرة .

والوجه الأول طويل الفتل ناعم اللمس ملون بألوان فاتحة ومزخرفة بأشكال هندسية مربعة ومستطيلة ، ومكعبة كل واحد منها يعبر عن ظاهرة خاصة لمتداولها الشعبي والإجتماعي .ونجد أن صناعة الزرابي كانت تشغل سنة 1962،7000 يد عاملة من الإناث لكن في سنتي:1976/1975 إنخفض إلى 200 عاملة وهذا راجع لعدة عوامل منها:

1) تدهور هذه الصناعة .

2)منافسة الصناعة الحديثة لهذه الحرفة.

3)إرتفاع أسعار المواد الأولية .

4)ظهور صناعات منافسة [صناعات حديثة أجنبية].

5) نزوح اليد العاملة وإستبدالها بألة .

6) الظروف الطبيعية الغير مساعدة [الجفاف، الأمراض...إلخ] .

وفي الأخير يمكننا القول بأن هذا النوع من الحرف ظل متمسكا بجذوره وأصالته إلا في بعض التعديلات البسيطة من حيث اللون أوالأشكال الهندسية التي كانت لها إيحاءات ثقافية شعبية تنبثق من موروث شعبي أصيل إذ نجد أن النساء الحرفيات كان ينشد بعض الأغاني خلال قيامهن ما يسمى بالتويزة* أي عملية النسيج الجماعية فيها نوع من التعاون وروح المحبة والأخوة وهذا إن دل إنما يدل على ما لعبته هذه الحرف البسيطة داخل بيوت وهذا شر من دور إجتماعيوإقتصادي وثقافي في نفس الوقت وأبسط تعبير عن هذا كله القول البسيط :"بصوف علمي لون زربيتي وعليها يربع زوار خيمتي "[1] الذي تعني به : بصوف الشاه أصنع وأتقن في نسج الزربية بألوان جميلة وهي نتاج شخصي والتي يجلس عليها ضيوفي وزائرون خيمتي .

* إسم يطلق على عملية النسيج الجماعي التي تشهد نوع من التعاون والمحبة بين الجيران والأهل .

1) محاورة مع السيد بن عزة يامنة من مواليد1917 من بن هديل يوم 1992/04/13 قام بها الطالب الطاهر بلقاسم وهو في صدد إعداد مذكرة تخرجه بعنوان الصناعة التقليدية بحوض تافنة .

صناعة الجلود:

تعتمد هذه الصناعة على جلود الحيوانات ، وتصنع من هذه المادة لوازم متعددة منها ماهو منزلي ومنها ماهو ملوس مثل الأحذية ، وتعتمد على طريقة الدباغة حيث كانت تعرف هذه الأخيرة في القديم ولاتزال تعتمد من طرف بعض النسوة خاصة منهم من يسكن في البلدية وهذا حين يقمن بدباغة بعض جلود الحيوانات لغاية إستخدام هذه الجلود في منتوجاتهم ويعتمد في هذه العملية على وضع الجلد في براميل خشبية أو طينية مع إضافة مجموعة من الأملاح والرماد (بقايا النار)أو بعض القشور لاشجار البلوط الأخضر (الدباغ) .كلا على حسب إختياره أما في المدن فتقتصر هذه الصناعة على صنف الرجال وتتم في المعامل وورشات .وكانت هناك (05) خمس ورشات بتلمسان قبل الإستقلال إلا أنه لم يبقى منها إلا واحدة بأقادير التي تشغل 20 عاملا والتي إنضمت اليوم إلى الشركة الوطنية لصناعة الجلود وهي الوحيدة التي تنجز وتمون الصناع في تلمسان حاليا وتتزود بالمادة الأولية من جميع ضواحيها الإقليمية عن طريق المذابح العامة الموجودة في الدوائر والبلديات الكبرى [1] لكن هذه الصناعة هي تعاني من نقص في مادة الأولية بالرغم من أن لدينا ثروة حيوانية كبيرة وهذا على مستوى دول المغرب العربي وأهم ما قيل في هذا المخاض من أمثال:ثلاثة أوقوف والرابع منسوف والخامس يضرب ويشوف"*

1) موصلي، جمال الدين، جغرافيا الحيوانية، دمشق سوريا 1981، صفحة 102 .

* وهذا اللغز يقصد عملية المحض ، ثلاثة أوقوف يعني بالعامية الحمارة والرابع منسوف يعني الشكوة والخامس يضرب ويشوف يعني المرأة التي تقوم بعملية المخض .

صناعة الخشب:

تتمركز هذه الصناعة في منطقة تل تيرني المعروفة بأشجار البلوط الأخضر وأشجار الطاقة والتاشتةوالزبوج ، وتبدأ في عملية التدرج والتناقص للواجهة المحاذية لمدينة سبدو .ثم تظهر أنواع أخرى في مرتفعات جبل عصفور والجبال المحاذية لمرتفع عين غرابة والخميس وهي أشجار العرعار ، وهذه الحرفة نجدها أكثر إستعمالا بالمنطقة وهذا لبناء الأكواخ المتعددة الأغراض أو لتسقيف المساكن بالقرميد والزنك ولبناء آبار المياه والخطائر والخيام وتحديد المساحات الزراعية المروية وأهم أنواع الأخشاب تلك التي تبن بها الخيام .[1]

1)لعرج ،عبد العزيز . الزليج في العمارة الإسلامية في العصر التركي دراسة تاريخية فنية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، سنة 1990 ، صفحة 58 .

صناعة الفحم:

هي أقدم صناعة بالمنطقة ، يمارس الرجال بمساعدة النسوة ، تتم في سرية تامة من ناحية القيام بالعملية أو المشاركة في العمل ، وحتى في التسويق لأنها ممنوعة قانونيا ، وذلك بسبب قطع الجائز للأخشاب، أو إشعال الحرائق غير المتعمد فيها ، وتدعى بالشعبية خدمة الغرنة أي مهنة الفحم الطبيعي وتتم بقطع غابات البلوط الأخضر.وتقطع إلى أجزاء متساوية من ناحية الطول وتبن على شكل أهرام مخروطية الشكل الهندسي على إرتفاع يختلف قياسه حسب أهمية ومهارة الصانع[1] والبعض منها يفوق المترين طولا بمحيط 4 أمتار وتغطى بالتراب ولها فوهة بسمك 15 م ، وتترك لها مدخنة علوية ومشغل أرضي .يتم إشعال النار منه بنبات الديس أو الحلفاء ويكون ذلك في بداية الليل وفي سرية تامة وتسترق فترة إحتراق هذه القطع الخشبية مدة معينة لا تتجاوز 4 أيام .وقد تزيد على ذلك حسب حجم الفرقة . ثم يبدأ أصحابها في عملية الإطفاء بالماء وتقطيع الأخشاب المحروقة كيميائيا إلى أجزاء شبه متساوية . توضع في أكياس وتحمل على البغال ويتجه صاحبها إلى الأسواق مباشرة .

1) متاحف الجزائر ، صور من الماضي ، سلسلة الفن والثقافة الشركة القومية للنشر والإذاعة مدريد إسبانيا 1976 الصفحة 11 .

2)لعرج ،عبد العزيز . الزليج في العمارة الإسلامية في العصر التركي ، دراسة تاريخية فنية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، سنة1990 ، صفحة 58 .

صناعة زيت الزيتون:

تعرف المنطقة منذ القديم بزراعة أشجار الزيتون حيث تشهد بساتين ذات أشكال هندسية مربعة ومستطيلة خاضعة لشكل قطعة الأرض لأن الملكية وراثية.وتتأثر بمراحل التقسيم والإرث. كما أن هناك بساتين شاسعة تدعى الزيتون الكبير وذلك لقدم غرسه في ملكية قبائلية تتميز بكبر مساحتها تتمركز على حواف الوادي ببعد يتراوح ب2/1 كلم خاصة في المجرى الأعلى والأوسط بمنطقة عين غرابة وتافرة وبني بحدل والخميس . وفيه نوع ثان من هذه الزراعة خاص بالملكية الحديثة استفادت المنطقة من غرسه في فترة 1975م – 1982م مدعمة من طرف الدولة وهذا النوع يسمى الزيتون الصغير نسبة إلى صغر سنه ونوعية ملكية.

ويتم جني هذا المحصول في فترة لا تتجاوز شهر ديسمبر بالمنطقة من لدى ملاكه ولا يسمح ببيعه للآجانب على سكان المنطقة نتيجة عادات وتقاليد ذلك .

ويمر الزيتون بعدة مراحل مميزة كل واحدة منها على سابقتها مرحلة جني الزيتون في شهر ديسمبر.وبعد ذلك يجمع وينقل إلى المطاحن التقليدية ويفوز ويصفى من الزوائد ويطحن ثم تبقى الزيت فترة معينة لتعصر وتصفى وبعد ذلك ترجع إلى أصحابها على شكل زيت صافية وتحدد كمية الطحن بالقنطار بـ:70% للفلاح والباقي لصاحب المطحنة .وتوجد بالمنطقة عدة معاصر وهي متمركزة في الحوض الأسفل نتيجة كثرة غرس أشجار الزيتون وفيه مطاحن بالمدن القريبة من الوادي كمدينة تلمسان وسيدي يحي وصبرة وندرومة وأولاد الميمون الواقعة بالغرب من الرافد الشرقي بواد يسر .

صناعة النحاس:

ظهرت هذه الصناعة في يد حرفين محدودين تكونوا في الشرق الجزائري بمدينة قسنطينة وبالمملكة المغربية بمدينة فاس ونقل هؤلاء الصناع هذه الصناعة وتطورت بعد الإستقلال مباشرة ، ثم تراجعت نتيجة الغزو الصناعي الحديثوغلاء موادها الأولية .

ويربط إنتاجها بحياة إجتماعية راقية خاصة النحاس الأصفر ولم يبق بالمدن إلا العدد المحدود من منتوجاتها وأهم ما ينتج أنابيب العطور.المغالي والمهاريس والقصاع ومقارع الأبواب ، وعلب الشاي.والسواني المختلفة الأشكال والرسومات الدلاء ، الشماع والثريا والزهريات .

كما أننا نجد ان هذه الحرفة مكسية وموروثة عن الأباء والأجداد ولم تتلق توسعا عاما مثل باقي الصناعات الأخرى وقد ظهرت بعض منتوجاتها بمواد أخرى كالألمنيوم والبلاستيك .

1) الطاهر، بلقاسم . الصناعة التقليدية في منبع حوض تافنة ، مذكرة ماجيستر سنة 2001/2001 ، صفحة73 .

صناعات أخرى:

بإضافة إلى الصناعات المختلفة التي عرفتها مدينة تلمسان نجد صناعات أخرى صغيرة مثل صناعة الحدادة العامة التي ظهرت منذ القدم وعرفت توسعا كبيرا في الفترة الإستعمارية .أدت إلى ظهور أنواع مختلفة الأغراض بعدما كانت محصورة في أدوات العمل كالأبواب والشبابيك التي تزين برسومات هندسية مختلفة الأشكال. وبما أن المنطقة كانت تحتوي على رصيد حيواني.شدها هذا إلى التعرف وإكتشاف الأدوية البيطرية ، وقبل هذا كانت هناك ما يسمى بالأدوية المحلية والطرق البدائية أي كانت تعتمد على طرق ووسائل بدائية مثل التداوي بالنار أي مايسمى بالكي وذلك عن طرق معاينة المرض وتحديد مكانه في جسم الحيوان بواسطة منجل وسكين مسخن على النار ثم وضع بعض الأعشاب الطبيعية على هذا المكان وهذه من أبسط الطرق المستعملة .

وإلى جانب هذه الصناعات نجد صناعة الحلي التي تعد من الصناعات المعدنية التي عرفت في المنطقة من القدم والتي كان يولون لها أهمية كبيرة بحكم غلاء المادة الخام وبإضافة إلى قيمة هذه الصنعة التي عرفت منذ القديم وكانت من إختصاص اليهود الذين سكنوا المنطقة وهذا ما نتطرق له بالتفصيل في الفصل الموالي .

تمهيد:

لقد فكر الإنسان في تزيين نفسه ، فأبدع ما أبدع من ألبسة وحلي وجواهر ولقد عرف إستعمال الحلي في بلاد النهرين قبل غيرها من البلدان وكان الرجال والنساء يشنفون أذانهم بالأقراط ، ويتقلدون القلائد في أعناقهم ، ويزينون معاصمهم بالأساور وسواعدهم بالدماج ، وأصابعهم بالخواتم وكانوا يصنعون حليهم من الحديد عندما كان عزيز الوجود يتنافسون بإقتنائه ، ثم إستبدلوا به البروز ، أما الحلي المصوغة من الذهب والفضة فكانت نادرة جدا ، ولكن المصوغ منها كان بالغ الإتقان والحسن.[1]

كانت بابل القديمة مصدر إنتاج وصناعة الحلي [2]، كما عرفت فن الحفر على الأحجار الكريمة ، وكان من أهم الأشكال الفنية المفضلة التي يحفرونها على الأحجار الكريمة ، وكان من أهم الأشكال الفنية المفضلة التي يحفرونها على الأحجار مناظر العبادة ، والمعبودات المحلية والحيوان ، كذلك الرسوم الزخرفية . ولقد تعددت أشكال وألوان الحلي والجواهر منها:السلاسل ، العقود ، الدماليج ، الأساور ، الأقراط ، الخلاخل بالإضافة إلى بعض القطع الصغيرة (médaillons) التي كان يتبادلها المحبون فيما بينهم وكانت تنقش عليها أساميهم ، وتكتب فيها الإهداءات .

1) قاشا ، سهيل . الحلي في وادي الرافدين ، مجلة التراث الشعبي وزارة الثقافة والفنون ، بغداد العدد الثالث السنة التاسعة 1978 ،ص123 .

2) قشيوش ، نصيرة . الزفاف في تلمسان ، دراسة فنية أنثروبولوجيا ، مذكرة دكتوراه ، تلمسان سنة 2010/2009 ، ص 87 .

كما كانوا يصنعون أشكال رمزية كالتمائم مثل العين والثعبان والحوته .(وسنتعرض لها في عنصر رموز الحلي التقليدية) ومما هو جدير بالذكر أن لكل بلد أنواعا خاصة من الحلي تعكس ذوقهم ومهارتهم وإمكانياتهم وعاداتهم .لأن الحلي مظهر الذوق الفني وإحدى ظواهر تطوره فهي دراسة للصلات الإنسانية التي بين أفراده وتبين الحلي أذواق الناس والمفهوم الجمالي وميولهم الروحية وإمكانياتهم المادية.[1] والميل الذي يوليه الناس لإقتناء الحلي ، يهدف خاصة إلى المفهوم الإجتماعي . فالمجوهرات كالثياب بالأمس تعتبر وسيلة للإفتخار والظهور عرضا لثروة كما تعتبر وسيلة لإبرار المكانة الإجتماعية ، إذن فالثروة والمكانة الإجتماعية كانت تقدر في الماضي بمدى كمية المجوهرات التي تكملها المرأة وترتديها في مناسبة الأفراح المختلفة .[2]

1) قاشا ، سهيل ، مرجع سابق ، ص122.

2) قشيوش ، نصيرة ، مرجع سابق مأخوذة عند فريدة بن ونيش ، المجوهرات والحلي في الجزائر ، ص 88.

تاريخ ظهور الحلي التقليدية:

إتفق العلماء والباحثيين في مجال ما قبل التاريخ على أن ظهور الحلي الأولى كان في أوائل عصر ما بعد الباليوليتي جاعلين من الإنسان العاقل أول صائغ لها. وقد خلف لنا الإنسان الأيبيري المورزي والقفصي في هذا المجال آثار لا يشك فيها.[1]

حيث نجد أن الإنسان البدائي الأول ومنذ العصور الحجرية الموغلة بالقدم ومنذ الزمن الذي كان يتخذ فيه من الكهوف مساكن له، تعلم الإهتمام بمظهره وزينته وسط طبيعة كانت تحيط به براقة بأشكالها وألوانها فأخذ من محاكاته بها الجمال وتزين بكل محتوايتها ، وإنشغل كل مامنحته الطبيعة له من نبات وحيوان.وهذا ماعبره عنه نجلاء العزي في مقالها بقولها :"ومن المحتمل جدا أن تكون الحلي قد سبقت الملابس إلى الوجود. فالإنسان البدائي الأول ومنذ العصور الحجرية الموغلة بالقدم. ومنذ الزمن الذي كان يتخذ فيه من الكهوف مساكن له تعلم من الطبيعة التحلي والتزين فقد جذب نظره ما لبعض الحيوانات والنباتات من زينة طبيعة تختلف عن غيرها وعن جنسها بألوانها البراقة وأشكالها المتميزة دفعته إلى محاكاتها . وبهذا يمكن القول أن الإنسان إستعمل الحلي حباً في التمييز عن الآخرين .

كما أنه يكون قد إستعملنا كرمز للقوة والغلبة، وخصوصا إذا علمنا أنه تحلى بأسنان الذئاب التي إصطادها أو بأنياب الفيلة للدلالة على سيطرته على الحيوانات القوية في محيطه.[2]

1) بن فوغال ، ت. الحلي الجزائرية تطور الأساليب والتقنيات ، ترجمة معطاوي . ف، الصفحة 03 .

2) العربي ، نجلاء . مجلة الدوحة (السنة السابعة) العدد:76/أبريل 1982 م، الصفحة:149.

الحلي التقليدي:

لقد عني الإنسان منذ العهود الأولى للتاريخ إلى عنصر التزيين ويكفي على الأقل أن نعرف أن الرجال والنساء قد غيروا مظهر أبدانهم بالرسم أو بالقلائد والأنواط وربما بالألثمة ولكن لم يبقى من ذلك إلا ما كان مصنوعا من مادة مقاومة كالصدفات والعظام أو الأسنان وكذا الصفائح الجلدية للسلاحف أو بيض النعام أو الحجر . وقد إستعمل إنسان الحضارة "الإيبيرو مغربية " بيض النعام وكذا القفصيون بطريقة أكثر إنتظام. فبعد إستحصال البيض للإستهلاك تستخدم قشوره لأغراض عديدة منها صناعة الحلي ، حيث تكسر البيضة إلى قطع صغيرة ثم يحدث في وسطها ثقب وتصقل أطرافها كي تصبح قابلة للصف في خيط وهو ما يعطيها صورة لألئ عقد. [1]

ضف إلى هذا فإنه في العصرين " الكبسياني والنيوليتي " من بعده كان الحرفيون يضعون القلائد الجوهرية وطريقة صنعها معروفة حيث تكسر بيضة النعام والقطع الناتجة عن التكسيير ذات الحجم اللائق كانت تسوى وتثقب وفي النهاية عملية تغيير الحلقات بواسطة الصقل ، الذي لاشك فيه وأن تكسير بيضة النعام على شكل قطع أكبر كان يسمح بإستعمالها في المصاهر ذات الخضاب أو الأنواط فكانت الزخرفة المنقوشة على تلك الأشياء تعبر على مهارة الفنان ثم بعد ذلك تطورت صناعة الحلي بمعرفة الإنسان القديم للمعدن ، حيث عرف سكان شمال إفريقيا النحاس والبرونز قبل الحديد خاصة في المناطق الغربية من بلاد البربر، وقد

1) ك ، براهيمي . تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر والتوزيع ، ترجمة محمد البشير شنيتي ورشيدة بورويبة ، ش والتوزيع ، سنة 1982 ، ص 14 .

إحتفظت أقدم القبور يقطع من الحلي المعدنية منها آساور مفتوحة وخلاخل وخواتم وأقراط[1] ،اما في العصر الإسلامي فقد عرفت صناعة الحلي تطورا كبيرا وقد أطنب المقريزي عند كلامه عن خزائن الفاطميين في ذكر ماكانوا يحتفظون به من الأواني الذهبية والأحجار الكريمة والحلي ولكن مما يؤسف له أن ما وصلنا من الحلي الإسلامية نادر جدا والراجح أن معظم ما يعرف في هذا الميدان لا يرجع إلى عصر قديم إلى الرغم من الزخارف الموجودة عليه والتي يمكن نسبها إلى العصر العباسي أو الفاطمي أو المملوكي ولعل السر في ذلك أن الحلي والمعادن النفيسة كانت تظهر ويعاد سبكها عندما يتقادم بها العهد فضلا عن أن قيمتها المادية كانت تبعث على التصرف فيها .ولا ريب في أن الحلي في العصر الإسلامي كانت متأثرة في طراز زخرفتها وأسلوب صياغتها بالنماذج الساسانية والبيزنطية ومن العسير تحديد المكان التي صنعت فيه معظم الحلي الإسلامية أو تاريخ صناعتها تحديد فيه قسط وافر من الدقة ، وقد عثر في الفسطاط على إسورة وخواتم وأقراط من الذهب أو الفضة ويظن مما عليها من زخارف نباتية أنها ترجع إلى العصر الفاطمي .[2]

تاريخ الحلي التقليدية الجزائرية :

وفي خضم هذه النشأة والتطور للحلي كانت الحلي الجزائرية قد عرفت تطورا في بداية العصر التركي "ق16 م" والذي لم يعثر على أي أثر للمجوهرات لأن سبكها قد أدى إلى إختفائها كما أنه لم يعثر على وثيقة تستطيع أن تحدد لنا بدقة شكل الحلي التي كانت مستعملة في ذلك العصر أما في القرن 14 م/18 م فقد وصلتنا معلومات

1) براهيمي ، ك . مرجع سابق ، الصفحة 34 .

2) زكي ، محمد حسن . " فنون الإسلام " ، دار الرائد العربي بيروت، الصفحة 522.

وفيرة عن ذلك لأن المسافرون قد وصفوا لنا البدلات والثياب وحلي النساء المدنيات، فقد كتب " فانتير دو بارادي " رحالة في القرن 18 م عن ذلك مايلي: "أن النساء الثريات المدنيات كن يضعن على رؤوسهن قبعات عالية متقنة الصنع ويزين أرجلهن بخلاخل ضخمة كما يتزين بأساور تملأ أذرعتهن من مفصل الزند إلى المرفق[1] ، أضف إلى هذا فإن صناعة الحلي الجزائرية كانت مزدهرة قبل الإحتلال رغم أن بعض النقاد الغربين قد لاحظو بداية تدهورها في القرن18م وكانت أنواع الحلي الجزائرية تتمثل في الآساور والأقراط والعقود الذهبية والخلاخل كما أسلفنا. إضافة إلى حلي المناسبات مثل خيط الروح ، وقد كان أغلب هذه الحلي من صنع جزائري. وقد إشتهرت بني ين في الزوارة "القبائل" بصنع الحلي وكذا صاغة العاصمة وتلمسان وقسنطينة.[2] وقد كانت هاته المدن لوحدها تعد حوالي 200 منقش للجواهر[3] ، ولكن هجرة اليهود إلى الجزائر من الأندلس وليفورنيا جعلهم يسيطرون على هاته الصناعة حيث كان اليهود محل ثقة الباشوات في إختيار العملة الرسمية مما جعلهم يسيطرون على سوق العملة والذهب والفضة التي هي أساس صناعة الحلي وقد ظل اليهود يستعملون نفس السلاح ولما زارت إمبراطورة فرنسا الجزائر في 1860 قدم لها النساء اليهوديات هدية ثمينة من الحلي .

1) فريد ، بن ونيش . المجوهرات والحلي بالجزائر، فن وثقافة ، وزارة الإعلام الجزائر ، طبعة الثانية سنة 1982 ، ص 10 .

2) أبو القاسم ، سعد الله ."تاريخ الجزائر الثقافي"، دار الغرب الإسلامي ، طبعة1 جزء8 ، سنة 1998 ، ص355 .

3) الصناعات التقليدية الجزائرية "المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار" ، أفريل1998 ، ص56.

وقد كانت الحلي الجزائرية عموما عليها سمات الذوق المحلي والديني[1] ولكن سرعان ما أخدت هذه الصناعة بالتدهور لعدة أسباب منها:

أ) أن اليهود إزدادت مكانتهم في عهد الإحتلال سيما بعد تجنسهم الجماعي في 1870 م .

ب) أدت الهجرة الجزائرية إلى احداث فراغ في اليد العاملة في اليد الصانعة الماهرة .

ج) سيطرة المصنوعات والبضائع الأروبية المستوردة وقد أعيد بعث صناعة الحلي وتطورها مع الزمن كما أخذت أشكالا جديدة تنافس المنتجات الأروبية ولا سيما في المدن أما في الأرياف فقد إستمرت صناعة الحلي رغم تأثير اليهود عليها وظل الإستعمال على ما كان عليه تقريبا في الحياة اليومية وفي المناسبات الإجتماعية [2] وبعد هذه الجولة القصيرة والبسيطة حول البحث عن تاريخ الحلي التقليدية الجزائرية يجدر بنا الإشارة إلى معرفة الحلي بحد ذاته ولهذا نطرح السؤال الثاني:إذن ماهي الحلي؟ .

تعريف الحلي التقليدية:

".... الحلي: ماتزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة...والجمع حليٌ والحلية: كالحليُ والجمع حِليً وحُليً. الليث: الحليُ كل حلية حليت بها امرأة أو سيفا

1) أبو القاسم ، عبد الله ، المرجع السابق ، ص 355 .

2)أبو القاسم ، عبد الله ، نفس المرجع ، ص 356 .

ونحوه، والجمع حُليٌ... الجوهري: الحليُ حليُ المرأة. وجمعه حليٌ... وحليت المرأة أحليها حلياً وحلوتها إذا جعلت لها حلياً ..... هو إسم لكل ماتزين به مصناع الذهب والفضة..." .[1]

أنواع الحلي التقليدية :[من حيث مادة الخام]

أ) الحلي الذهب [المجوهرات الذهبية]:

تعتبر الحلي "الذهب" واحدة من أوائل المعادن التي تم إكتشافها وإستخدامها في الشرق الأدنى القديم ، حيث لم يعرف تاريخ إكتشافها بالتحديد.فمن الثابت أنه قد إستخدم كزينة بسيطة منذ آلاف الخامس أو حتى الألف السادس قبل الميلاد .

والذهب يوجد في مجاري الأنهار الجبلية أو بين الترسبات ، على شكل سبائك صغيرة أو على هيئة رماد وفتات . والذهب النقي ،ببريقة ولونه البراق غالبا ما يره بالعين المجردة أو تصطدم الأشعة المنعكسة بالعين العادية [2] كما يوجد الذهب على شكل عروق داخل الصخور والطبقات الجبلية عدا وجوده في بواطن الوديان والأودية.

كما أن الذهب معدنا ليس نقيا. بل دائما ما تشوبه بعض المعادن الطبيعية الأخرى وتختلط به في الطبيعة مثل الفضة والنحاس والحديد.[3]

والذهب من المعادن الخاملة جدا وهو لا يتأثر بالهواء أو الحرارة أو الرطوبة وهو لا يذوب في الحوامض المركزة المعدنية المعروفة أمثال: حامض الهيدوركلوريك

---

1)إبن منظور . لسان العرب ، الجزء الثاني ،دار المعارف (د.ط)[د.ت] ، صفحة 985/984 .

2) أولكر أرغين صول ، تطور فن المعادن الإسلامي منذ بداية ونهاية العصر السلجوقي ، ترجمة الصفصافي أحمد القطوري ، طبعة الأولى ، سنة2005 ،الصفحة 66.

3)Forbes, R.J. « Extracting, Smelting…. » op.cit, p581

والكبريتيك ،الفوسوريك ،ومن أهم وسيلة لإستخلاص الذهب وتقنية من الشوائب أو الخامات والفلزات الأخرى والتي أكتشفت منذ العصور القديمة وإستثمرت مستعملة في العصور الوسطى هي "الصهر" أي فصل الذهب عن طريق صهر وإذابته .كما أنه معدن لين من السهل تشكيله ويمكن طرقه بالمطرقة ويمكن كذلك تشكيله لعدة أشكال متعددة حسب الطلب .وهذا ماشهدته العصور الإسلامية وهذا بإستخدام الذهب كطاسات وأباريق وأكواب ومشارب إلى جانب إستخدامه كأدوات الزينة والحلي كالأقراط والخواتم والأساور والكردانات والخلاخل .

ونجد ان الدين الإسلامي عارض إستخدام المعادن الثمينة كالذهب والفضة في صنع الآثار ، فقد تزين على ذلك قلة أو لنقل ندرة في الآثار المصنوعة من الذهب والفضة الخالصين في العصر الإسلامي وراجت وجهة النظر هذه بين الصناع والمبدعين .

لكن هناك تحريم قاطع لإستخدام الذهب والفضة في القرآن الكريم ، ففي سورة التوبة ينذر الله سبحانه وتعالى من يكنز الذهب والفضة في قوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم:" يَا أَيُهاَ ٱلَذِيْنَ ءَامَنُوا إِنَ كَثِيْرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَٱلرُهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَاسِ بِٱلبَاطِلِ وَيَصُدُونَ عَنْ سَبِيْلَ الله وَٱلذِيْنَ يُكَنِزُونَ ٱلذَهَبَ وَٱلفِضَةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيْلِ الله فَبَشِرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيْمِ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَمَ فَتَكُوىَ بِهَا جِبَاهَهُمْ وَجُنُوبِهُمْ وَظُهُورِهِمْ هَذَا مَا كَنِزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تُكْنِزُونَ (35) " .[1]

1) سورة التوبة: الأية 34 . 35 .

ب) حلي الفضية [المجوهرات الفضية]:

كانت الفضة قديما كالذهب مقياس للثروة والغنى وهي من المعادن التي عرفها الإنسان القديم وإستخدام الفضة معدن لامع براق يوجد بصورة نقية أو متحدا مع معادن أخرى وقد عثر على الحلي الفضية في المعابد والقبور الملكية في مصر وفي بلاد مابين النهرين والتي ترجع تاريخها إلى أكثر من 400 سنة .[1]

كما أن وجودها يكمن شكل عروق فضية في بعض الصخور والأحجار والفضة الطبيعية وجودها محدود ، فمن المحتمل أن يكون إكتشافها جاء بعد الذهب. كما من الثابت أن الفضة الطبيعية قد إستخدمت للزينة إعتبارا من بدايات الألف الرابع قبل الميلاد [2] وهي كالذهب معدن لين، يمكن طرقها وتشغيلها على البارد.

كما ان هذا المعدن كان يستعمل في سك العملة النقدية ، أما عن الحلي الفضية الجزائرية فتواجدها يشتمل على المناطق القروية والهضاب العليا وكذلك المناطق الصحراوية والشبه الصحراوية وهذا نتيجة لفن الريفي العفوي المتشبع بالعبادات المحلية، بإضافة إلى مستوى الحياة في هذه المناطق فسعر الفضة أقل من سعر الذهب.وهذه الحلي تعتمد على وسائل بسيطة وتتصف بالصلابة والجمال البدائي. كما تتصف بالانسجام في الأشكال المتواضعة الغير معقدة.

أنواع الحلي التقليدية(من حيث مناطق الإنتاج):

يعود تاريخ الحلي الجزائري إلى ما قبل التاريخ، وهذا من خلال تواجد طقم المجوهرات المكتشف فوق التراب الذي ترك المكان لاعمال أكثر كمالا منحدر من

1) أبو نعيم، محمود.الرسم والتصميم على المعادن والنحاس، الطبعة العربية،سنة2007 ص25.

2) أولكر أرغين صول ، ترجمة صفصافي أحمد ، مرجع سابق ، صفحة 71

العصور القديمة ومن العصور الوسطى بإضافة إلى هذا نجد التواجد العثماني أعطى للجزائر القديمة ذوق معين للكمالي في شكل فني بالأحرى مستلم من إيران. أعطى هذا النفس الجديد إتجاه فني حاضر بقوة في الفن الرهيف للأثاث .

لقد برزت الحلي المعدنية الأولى إلى الوجود في عصر ما قبل التاريخ وأن مقبرة – بن مسوس– القريبة من العاصمة ،ومقبرة–تديس– و–قسطل– بشرق البلاد عثر فيها على أقراط للأذنين وأبازيم ضخمة لتشبيك الثياب وخلاخل من البرونز المحكمة الصنع والتي كانت ترتديها النساء في العصر الليبي– البربري– كما كانت تبدو المهارة الخارقة والذوق الجمالي الرفيع في هندسة وزخرفة تلك المجوهرات[1]، حيث شهدت صناعة الجواهر تطورات قوية وعديدة في مختلف المدن الكبرى كالعاصمة وقسنطينة وتلمسان وخاصة في الفترة العثمانية حيث أن الجزائر العاصمة(سابق عاصمة السلطة) كانت لوحدها فقط تعد حوالي 200 منقش للجواهر.

أما في الوقت الحالي أي أيامنا هذه فهناك أربع مناطق تتقاسم هذا الفن أو الحرفة بتعبير آحرى والتي بقيت رغم كل الظروف وفيه للماضي ومتمسكة بالأصالة ومحافظة على عاداتها وتقاليدها ، فنجد منطقة القبائل واحدة من المناطق الأكثر إنتاجا خاصة آيت يني . كذلك الأوراس قيمة واثقة في صناعة الجواهر الجزائرية مع الهضاب العليا ، ولا ننسى التوارق فهم أمناء صناعة الجواهر في الجنوب الأقصى والذين يسمون في تخليد هذا الفن باللعب بالنار بطريقة ساحرة وجذابة جدا .

1) فريدة ، بن ونيش . مرجع سابق ، ص 11.

حلي القبائلية:

تعد الحلي المسماة محليا بـ:تاساحت –أدوير–تهارارت–تابزيمت من إبداع قبائلي أصيل ، متمركز في منطقة بني يني هذه الآخيرة التي تشهد إنتاجا لأنواع الآساور والأقراط مختلفة الأشكال (والألوان) وكل هذه الإبداعات لا تزال إلى يومنا هذا تخرج من مداشر جبلية تحافظ على أصالتها ولا سيما قرى: تاوريرت ميمون،آيت الاربعاء ، آيت لحسن ، أقرن أحمد ، وتاوريرت الحاج ....[1] فكل هذه الأماكن إشتهرت فيما مضى من العصور بإتقانها لهذا الفن الذي يمزج النار بالمعدن ولقد برع آهالي آيت يني في سبك نسخ دقيقة الصنع. لقطع النقود ولما كان إنتاجهم هذا يناظر العملة الأصلية ، فهدد رواجها الإقتصاد الجزائري إبان عهد الايالة التركية بالإفلاس والإنهيار وكانت هذه المهارة التقنية بلغت مبلغا عظيما من التحكم إلى درجة أنها صخرت في مجال صنع الأسلحة ، ثم الأقفال فصياغة المجوهرات.

وتعود شعبية وميزة هذه المصنوعات أساسا إلى توفر الألوان كالأزرق والأخضر والأصفر والتي يضفي تباينا جذابا على الحمورة الشديدة اللمعان المميزة للوشاح الرئيسي المصنوع من المرجان المستعمل في ترصيع العقود والأساور .

بإضافة إلى هذه الألوان نجد الحرفي القبائلي قد إعتمد على بعض المواد مثل:المينا هذه المادة التي تصنع من مسحوق في غاية النعومة ويشتمل عادة على الرمل الزنحفور ورمل أو الأمنيوم والأشتاة (أو البوتاس) والحرض (أو الصودة) وتسحق هذه العناصر سحقا دقيقا لتتحول إلى مادة زجاجية. تحت درجة حرارية عالية.ويقوم الحرفي بإستخدام المينا في تزين حلياته .

1) الصناعات التقليدية الجزائرية ، مرجع سابق ، ص 78.

أما الآكاسيد المستعملة في بلورة الألوان فهي على التوالي:أكسيد الكروم بالنسبة للون الأخضر الغامق لشفيف ، أكسيد الكبريت بالنسبة إلى الأزرق الشفيف ، اكسيد النحاس الذي يولد اللون الأخضر الفاتح الضارب في العتامة . بينما الأصفر الغامق ناتج عن كرومات الرصاص لكن الحرفيين يكتفون اليوم بشراء مواد جاهزة للطلي.

وتكتسب تقنية الطلي بالمينا في منطقة القبائل الكبرى طابعا خاصا يتمثل في تحديد أجزاء الحلي الآيلة إلى التلوين .ولتحقيق هذا الغرض تستعمل خيوط مفتولة بالفضة لنقل الرسم بتلحيم صفيحة فضية تملأ بالطلي لدهن الفراغات وتعميرها وبعد تنشيف المصوغات على الهواء المواني لونا لامعا وبراقا .

وبالإضافة إلى هذه التقنية نستعمل طريقة وأساليب فنية أخرى في إنتاج الصياغة القبائلية مثل: الزخرفة بالخيوط ، التحبيب ، التشريط ، والنقش على الرصاص .

ونجد أن الحلي القبائلية أخذت عدة أشكال وتسميات مختلفة ومنها: إحلحن "معصميات" من المجوهرات الهامة في المجتمع القبائلي وهذا راجع إلى عيارها الذي يبلغ أحيانا ثلاثة عشر سنتيمترا من الإرتفاع. ويتميز جزءها الرئيسي بإنعدام التزيين بالمينا ، لكن نجد هذا الطلي على صفائح تغطي معقف الغلق. ويتم التزيين عن طريق التشريط والنقش على الرصاص .وتحتم زخرفة"المعصمية"بوشاح رئيسي غليظ موشي بكوريات "أوفصوص" فضية .

الدام أو الأمصلوح:

سوار أصفر من المعصمية مطلي بالمينا أو المنقوش على الرصاص وتحمل الأبازيم القبائلية معادن كثيرة. لذا أطلقت عليها تسميات مختلفة: إدويرن، تهارهت "تبزمين" أو كذلك " أبزمين ".

ولهذه الحليت قيمة جمالية أكيدة وميل النساء إلى إرتداء ما والتظاهر بها .لا يحتاج إلى دليل ولا بيان .وهي تختلف بحسب المقايس فالمصنوعات الصغيرة "أدويزن وتهارهت" تتميز على الأبازيم " تبزيمن " الكبيرة والأبازيم المثلثه(إبزيمن) أما الأدوير الصغير المطلي بالمينا فهو مسبوك على قطعة نقدية حينئذ نجده مستدير الشكل ، مرين بوشائح رئيسية بالمرجان ، تتدلى منها شبه عناقيد يمسك الإبزيم على القماش بلسان تدخل فيه حلقة. وتهارهت إبزيم صغير مدور ومطلي بالفضة تحمل عليها فصوص فضية. كذلك غير أن القطعة الرئيسية للمجوهرة القبائلية هي بلا منازع تابزيمت وهي عبارة عن أبزيم كبير مستدير دقيق التنميق تزين به المرأة صدرها . وتشتمل هذه التحفه على رسومات عديدة من تحبيب فضي وطلي بالمينا ، وزخرفة بالخيوط وعناصر عديدة من المرجان ، لكن الفرق بين الحلي الشاوية والقبائلية ينحصر في أن الحلي الشاوية "مملوءة"، "مقعرة" أو "مفرغة" عكسا للصناعة القبائلية التي تعرف أساسا على كونها مزينة ومطلية بالمينا .

والحليات الأوراسية تشتمل على عدة أنواع وتسميات مختلفة فنجد منها:

1) **العلقة التشوتشاته:** حلية أقل ما تقوله عليها أصيلة وظريفة في إستعمالها كون مكان وجودها أعلى الأذن .كما أنها تتكون من حلقتان كبيرتان من عشرات السنتيمترات ومزخرفة بأجزاء من المرجان– تعلوها زخارف رشيقة كروية أو أنبوبية الشكل من الفضة والتي تتولى منها من الحافتين سلال صغيرة مصحوبة بأنواط – لكن لم تعد تصنع في أيامنا هذه .

2) **التمشرنت:** هو نوع آخر من الأصناف مشهورة ويلبس كثيرا في الشرق الجزائري، متكون من عدة مثلثات معينة على نصف مساحة القطعة مزينة على شكل أسنان المنشار . الشكل أو الرسم المركزي غالبا مايكون دون أهمية ،كانت تلبس مرأة الأوراس هذه الحلية "الشنف" في أعلى الأذن ولكن مع الوقت أصبحت تلبس في روم الأذن شحمة الأذن بفضل تصغير حجمها .

3) التنزالت: يصنعها حرفيو الهقار وأقاديس .وإن هذا الحلي غريب بوجه خاص بشكله المعين مقعر الحدود بحلقة متدلية– في بعض المناطق يسمى هذا الجوهر"هليب أغاديس".

4) **الخميسة:** متكونة من خمس معينات وبإمكاننا أن نلاحظ التشابه مع الخامسة "يد فاطمة" الموجودة في الشمال للخميسة التي في الرقبة خسار سحرية وقائية كذلك محمولة من طرف الرجال الزرق .

5) **تاساحت:**إسم يطلق على إكليل ، وهو اليوم سائر نحو الإختفاء وعلى غرار الحلي السابقة فإن هذه المجوهرة عبارة عن زخرفة مطلية بالموانئ ووشائع رئيسية من المرجان وحبيبات من الفضة .

6) **لتراك:** حلية قديمة تستعمل كأقراط للأذنين وتشتمل على حلقة بيضوية الشكل مكللة في طرفها بالمرجان والمينا .

7) **تيقودماتين:** نوع آخر من الأقراط ذو حلقات منمنة في طرفيها بالمرجان ، وهذه الأقراص مرصعة بصفائح مستديرة تتدلى منها عناقيد ممدودة .

حلي الشاوية (باتنة):

إن منطقة الشاوية الحرة بقيت محافظة على أصالتها رغم مرور الزمن كما أن الحركة باتت آمنة ووفية لتقاليد الحرفي القديم ما إنفك يستعمل ألات وأدوات يعود عهدها إلى العصور الغابرة .

بإضافة إلى هذا نجد أن المرأة الأوراسية إشتهرت بحبها للمجوهرات والحلي ولا غرابة في أنها كانت ترتدي على الأقل سوارين أو خلخالين أو قرطين وهذا يكون هذه الحليات قاعدة من قواعد الجمال .

أما عن تقنيات صنعها فظلت هي الأخرى على رونقها العتيق دون تغير، والمجوهرات المصنوعة في هذه المناطق أصلا من الفضة أو من قطع نقدية مسبوكة يبلغ عيارها تسعة من عشرة [9/10] ولكن قد يحدث أن يعتمد الصياغ على سبائك أخف. والحرفيون الأوراسيون لا يستعملون الذهب على الإطلاق بل يعتمدون على الفضة في صناعاتهم ، مثلهم من الحلي القبائلي الذي يعتمد هذا الأخير على معدن الفضة بالدرجة الأولى .

التروت نازراف: مشهور كثير عند سكان الصحراء هو عبارة عن أنبوب لحجابات بحيث أن المعنى السحري تأثير بعمق من طرف طابعة الغريب ، هذا الأنبوب هو مصنوع غالبا من المعدن أو الجلد أن الفضة هي مستعملة غالبا ، في هذه الحالة الدقيقة نجد تروت نازون مزينين مرصعين.

التسفين: هو يفيد لزخرفة اليد"لأنها قاتم" بهذه الميزة لإحتواء مواد التجميل .

التزاناتين: هي أشناف من فضة لها أشكال الحلقات من 5 إلى 10 سم والتي تلبس

فوق ضفيرة شعر عند الأذن عوضا أن تثبت على الروم.

الاهبسان: أساور يلبسها الرجال والنساء على حد سوى تكون مصوغة غالبا من الزجاج القرن، النحاس أو من الفضة النوع الأول هو تجميع بعض الجواهر زجاجية متعددة الألوان والمضيقة حول حلقة من الجلد .

حلي الترقية:

كان للمبادلات التجارية وحركة الحرفيين الرحل الأثر الكبير على تنوع صناعة الحلي في مناطق الواحات الصحراوية التي تحتل جزءا كبير من وسط الصحراء الجزائرية والتي كانت فيما مضى مناطق عبور ومحطات أساسية للقوافل التجارية العابرة للصحراء سواء تلك المتجهة من الشمال إلى الجنوب حتى إفريقيا . أو تلك المتجهة من الغرب إلى الشرق ، حيث إمتزجت عدة ثقافات مختلفة الأعراف مع بعضها البعض وأثرت كل واحدة في الأخرى وتبناها السكان لإنتاج أشكال جديدة لثقافة مادية خاصة بهم ومنها صناعة الحلي وإتخاذها للزينة لعنصر مكمل للباس.

فنجد الحلي الطوارقي تطغى عليه مادة الفضة رغم وجود الذهب والتي مازالت تستعمل إلى الآن فذلك نرجحه إلى سببين هما: علما أن الطوارق من بقايا الملثمين أو المرابطين والذين قامت دعواهم على أساس ديني ونظرا لتحريم الدين الإسلامي لبس الذهب على الرجال فقد إستضلوا بالفضة عن الذهب كلية مصداقا للحكمة القائلة:" دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "[1] ، نظرا لما تكتسبه مادة الفضة من أهمية في المجتمع الطوارقي والمجتمعات الصحراوية في كونها تستعمل لطرد العين الشريرة

1) بن عبد الله ، نور الدين . الحلي التقليدية لطوارق الهقار، دراسة فنية رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية ، شعبة الفنون الشعبية 2001/2000 ،الصفحة 122 .

والسحر من البيوت والأشخاص إذا فإستعمالها كمادة أساسية في صناعة الحلي يكسب الحلية الوظيفة الجمالية والوظيفة الوقائية حيث أنها تستعمل لطرد العين عن الشخص الذي يرتديها ومنه فالحلية الطوارقية سلاح ذو حدين .

وفي الأخير ما يمكننا قوله أن الفرق بين هاته الطبوع من صناعة الحلي يكمن في أن الحلي الشاوية مملوءة ومقعرة أو مفرغة عكس الحلي القبائلية التي تعرف أساسا على كونها مزينة ومطلية بالميناء. أما الحلي الطوارقية فهي عكس ذلك تماما إذ تمتاز بالبساطة وأحادية اللون مع إنعدام كل لون ماعدى لون الفضة .

ومهما يكن فإنها كلها نتاج فني وأروع ما في الفن أنه يقول شيئا لا تقوله الحياة ويرسم باللون أو بالكلمة أو حتى بالحجر نور المعرفة ، وقديما كان الفنان الأول يمد يده ليتكلم ويرسم وربما كان كلامه صلاة ، وربما كان رسمه محاولة للخروج إلى المطلق أو حتى مجرد إستغراق صوفي في الكون رسمه محاولة للخروج إلى المطلق أو حتى مجرد إستغراق صوفي في الكون غير أنه وقد بدأ بالأعاجيب الصغيرة .ملك نفسه وإضمأن أينما سار فكان كمن يمر بحلم وراء حلم حتى يستيقظ على الإيمان الصحيح .وفي رحلته تلك أفض بكل شيء وترك إفضاءه على لسان الزمان وديعة رسالة فأخفاها وهو من طبيعته الإخفاء ،ولم تستطع الأجيال أن تعيش ماضيها إلا بعد أن راحت تسأله وتحاوره ولقد أصبح الزمان جزءا من البشر ولسوف يقول لهم بالقدر الذي يواجهونه بالسؤال وبالإحترام كل همسة تصدر عنه .ذلك أنه ليس أغلى من كل قديم يبعث وما أجمل أن يبرز مع الحاضر نصب الماضي إذ يكون التكامل الحضاري ولانظير من ثم يعقب سائل سؤال "أترى وراء هذه الموروثات ما يمكن أن يجعلني أعيش؟" إن الإجابة لن تكون نهائية .

ولكن السؤال يعني أنه بدأ يؤمن بالفنان الأول والإيمان على أية حال أراد من أجل خلق أوترجمة حكمة وأغزر عطاء،وتستطيع إذا آمنا بما أودعه أباؤنا لسان الزمان أن نرى أنفسنا على حقيقتها وهذا سر غايتنا بفعل الأولين إننا إمتداد لهم ولا يمكن في ظل التقدم الفكري الراهن أن نكرر أننا أكثر حاجة اليوم إلى بدأ إعادتهم .

تاريخ الحلي التلمساني:

إن هذه الحرفة هي الأخرى كان لها وجود مثل الصناعات الأخرى التي شهدتها المدينة بإعتبار تلمسان مركز أعمال ومقر صناعة وتجارة هامة بالمغرب الأوسط وهذا راجع لموقعها القريب من المواني‌ء الساحلية الشمالية ووجودها في مكان تلتقي فيه الطرق التجارية الكبيرة ساعدها على أن تكون سوقا عالمية لمختلف السلع والبضائع المتباينة وخاصته القادمة من وراء البحر الأبيض المتوسط ومن بلاد المغرب والمشرق وجنوب الصحراء .

فنجد سوق القيصارية يختلف عن الأسواق العادية وهذا راجع لسعته وتنظيم المحكم الذي يعرفه وما تشمل عليه من أروقة مغطاة. حيث يمكن للزبائن شراء البضائع التي يحتاجونها مثل الأقمشة والحلي والعطور والمصنوعات الجلدية والشمع والكتب والنعال والقناديل وغيرها وهكذا ظلت تلمسان محطة تجارية ذات شأن كبير. وكان التلمسانيون ميسور الحال بسبب تجارة الذهب وريش النعام والعاج وقد عادت تجارة الذهب مع السودان على الدولة الزيانية بثروة عظيمة .

وكان الذهب هو المادة الأولى المغرية. حيث كان التجار يسافرون من أجلها إلى بلاد المغرب وهذا ما جعل المدينة تتمتع بالغني واليسر من القرن العاشر الهجري

السادس عشر ميلادي .[1] وكان التجار اليهود، يشكلون مجموعة تجارية قائمة في تلمسان حيث لم يكن هؤلاء مجرد تجار فقط بل كانوا حرفيين أيضا ولهذا كانوا يقومون بتوزيع بضائعهم على تجار تلمسان.لتسويقها في البلد وفي المدن المجاورة وكانوا يهيمنون على تجارة الذهب في مدينة تلمسان خاصة والمغرب عامة.[2] كما إختص اليهود بصناعة المعادن الثمينة. كالمجوهرات والذهب والمرجان وغيرها وقد دعم المهاجرون سواء من الأندلسين اليهود أو المسلمين تنمية الصناعة بمدينة تلمسان وتطويرها بمهارتهم وخبرتهم في هذا المجال وبرؤوس أموالهم .

إذ نجد أن اليهود بالخصوص كانوا يباشرون في هذه الحرفة والتي لا تزال تحمل هذا الإسم أي رأس الصاغة الموجود بقرب من مسجد سيدي أبي الحسن(المتحف).

وهذا دليل على أن المجتمع التلمساني كان يولي إعتبار وإهتماما لهذه الحرفة منذ القديم وإلى يومنا هذا لا يزال الإهتمام قائما ونلمس هذا في الكثير من جوانب الحياة التلمسانية .

أنواع الحلي بمنطقة تلمسان:

لقد تحدث الحسن الوزان عن المرأة التلمسانية وشغوفها بالحلي في قوله:"نعم فإنها تحلي جبينها وأذنيها وجيدها وصدرها وأصابعها ، ومعصميها وكعبيها بالذهب الخالص أو بالفضة والنحاس إذا كانت فقيرة ولا تسل عن كثرة كلفتها بالأحجار الكريمة وبالديباجات والمذهبات .

1) فيلالي ، عبد العزيز . مرجع سابق ، صفحة 216 .

2) فيلالي ، عبد العزيز . مرجع نفسه ، صفحة 217 .

من هذا القول يمكننا تقسيم الحلي التلمسانية إلى:

وإلى غاية يومنا هذا ، فالحلي بقيت تكتسي أهمية عظمى ، ففي تلمسان تزين العروس من أعلى رأسها إلى أسفل قدميها بأنواعها من الحلي والجواهر منها ما تخص الرأس ، ومنها ما تخص البدن .

أ) الأجزاء الخاصة بالرأس:

1) الجبين:

سمي بهذا الإسم لأنه يوضع على الجبين ، وهو عبارة عن شريط معدني تتوسطه فصوص ، ويتدلى منها مجموعة أشكال نباتية تتمثل في وريقات صغيرة ، تضعه المرأة على جبينها ، كما يعرف أيضا بـ"العصابة" وهو عبارة عن زهرات فضية موشات بالألماس والزمرد ، وتتدلى منها أنواط على شكل أهداب .[1]

عرفت هذه الحلية منذ أقدم العصور القديمة ، وبالذات في العصر العباسي ، وقد كانت تستعمل للزينة ، كما كانت تستخدم لستر وإخفاء بعض العيوب أو العاهات الموجودة على الجبين ، وكانت عليه بنت المهدي تستعمل هذه الحلية لإخفاء عيب في جبينها ، فقد كان في سعته غير الطبيعية ، فإتخذت العصائب المكللة بالجواهر لتستر بعض جبينها ، فاتبعتها الكثير من النساء فيها إبتدعته حتى إنتشرت تلك العصائب إنتشارا واسعا .

1) فريدة ، بن ونيش . مرجع سابق ، ص 11 .

2) زروف:

هو صنف من أصناف العصابات وهو عبارة عن وريدات أو زهرات ملتصقة ببعضها البعض ، مرتصعة بالأحجار الكريمة والجواهر ، ظهرت منذ أقدم العصور وكانت تعرف بـ"المخنقة" وهي عبارة عن قلادة ضيقة تلتصق بالرقبة إلتصاقا ، وكانت تتخذ أحيانا من اللؤلؤ الكبير ، والمخانق كما تبدو على نوعين :الأول سمط واحد من الأحجار أو الخرز ، والثاني يتألف من دلاية على هيئة وريقة نباتية تشد على الرقبة بواسطة شريط أو خيط .[1]

والزروف حلية تقليدية تلبسها المرأة التلمسانية في الأفراح والمناسبات السعيدة ، فتضعه على الرقبة وتشده بشريط أو تجعله على جبينها (فوق الجبين) ، وهي ضرورية لتكملة الشدة التلمسانية ، وتستعمل العروس على الأقل خمسة "زرارف".

3) التاج:

هو حلية مستديرة لزينة الرأس ، يستعمله الرجال والنساء ، وإستخدام التاج رمزا لرتبة الملك تقليد قديم في الشرق ، والتاج لقب فارسي معرب ، وهو بالفارسية القديمة "تك" ويبدو ملوك الفرس القدماء في المنمنمات لا بسين تيجانا ، وعرف العرب التيجان لأول مرة قبل الإسلام ، ثم لم يستخدمها ملوكهم بعد الإسلام ، وكان التاج من خصائص اليمن والحبشة ، ولم يعرف المسلمون التاج الملكي كما عرف عند ملوك المسيحيين [2] ، وقد إعتادت العروس يوم زفافها على أن تضع فوق رأسها التاج ، ولعل هذه العادة من رسوبات وبقايا المسيحية . وقد حافظت المسيحية على قداسة

1) سهيل ، قاشا . مرجع سابق ، ص 130 .

2) المرجع نفسه ، ص 145 .

الزواج فوجب على أي عروس أن تدخل الكنيسة مع عرسيها ليباركهما ويلبسهما التاج الملكي .

وقد يعود إستعمال العروس للتاج يوم الزفاف إلى أنه إشارة للملك والسلطة والسلطان والمكانة ، فهي معفية من أي عمل لمدة أسبوع .

4) الأقراط:

هي عبارة عن حلقات من مختلف الأشكال والمواد ، منها البسيطة ومنها المستديرة ومنها أشكال شبيهة بالأزراد (الكلبسات) ، ومعلقات الأذن الكبيرة الحجم .

ومايهمنا في هذا البحث معلقات الأذن الكبيرة الحجم التي تستعملها عروس تلمسان وتعرف في المجتمع التلمساني بـ"الخرصة" أو "الونايس" ، وهي تتكون من خيوط الجوهر ، تتوسطها قطعا معدنية ، وألوانا من العقيق الأحمر والأخضر والأزرق في مقدمتها سلسلة طويلة لتثبت على الشاشية ، وفي مؤخرتها خيط أصفر لتشد بين الصدغين .

5) الخرصة:

وقد يرجع إستعمال هذه الأقراط الكبيرة الطويلة ، لإطالة عنق المرأة على أساس أن العنق الطويل دليل الجمال ، وهو مقياس من مقاييس الجمال ، والذي كان يقاس عليه إختيار المرأة قديما ، حتى أنها كانت تكنى بـ"بعيدة مهوى القرط" ، وإستحضر قول الشاعر امرؤ القيس هنا: [1]

1) عفت ، الشرقاوي . دروس ونصوص في الأدب الجاهلي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، سنة 1979 ، ص216 .

وجيد وكجيد الرئم ليس بفاحش [1] إذا هي نصته [2] ولا بمعطل [3] .

6) الأجزاء الخاصة بالبدن:

إضافة إلى أجزاء الحلي والمجوهرات الخاصة بالرأس ، هناك أجزاء خاصة بالبدن وهي على التالي:

أ) الجوهر:

هو عبارة عن نوع من العقيق ، يركب في خيط "السبيبة" على شكل مجموعة من الخيوط ، ويجعل في وسط كل مجموعة "لويزة" أو تميمة صغيرة كـ"الخامسة" أو "العين" أو "حوته" ..... وهذه الأشكال ما هي إلا رموز لدرء الحسد عن العروس. ومما هو جدير بالذكر أن تركيبة "الجوهر" هو من إختصاص النساء في البيوت وهي صنعة متوارثة من السلف إلى الخلف وتخصصت فيها المرأة التلمسانية بغرض تزويد الدخل الفردي للعائلة .

ب) العقد:

أقبلت المرأة على إستخدام العقد لتزين به رقبتها ، ولقد عرفت العقود منذ القدم [4] ويتخذ العقد أنماطا واشكالا كثيرة منها ما يقتصر على الذهب ومنها ما يرصع بالأحجار الكريمة .

1) فاحش: أي ليس بكريه المنظر فاحش الطول

2) نصته: مدته وأبرزته

3) المعطل:الذي لا يصلى عليه

4) نصيرة ، قشيوش . مرجع سابق ، ص94 .

ج) اللويز:

يعود أصله إلى لويس (LOUIS) وهو إسم 18 من ملوك فرنسا أشهرهم التاسع ، الرابع عشر ، الخامس عشر ، السادس عشر والثامن عشر .

"اللويز" هو الإسم الجاري للعملة النقدية الفرنسية للذهب منذ 1640 . هذا بعد أن قرر لويس الرابع عشر (1610 – 1643) إصلاح النظام النقدي الفرنسي .[1]

"لويز" الذهب عوض الفرنك أو الكو الذهبي الذي كان يتعامل به منذ جان الطيب2.

كان اللويز قديما في الأربعينات من إختصاص زينة المرأة البدوية ،حيث كانت تصففه في خيط أصفر ، تتخلل كل لويزة ثلاث عقيقات أو أربع ذي لون أسود وتضع وسط خيط اللويز خامسة كبيرة من الذهب لتقيها من العين الشريرة .

أما اليوم أصبح اللويز من إختصاص المرأة الحضرية حيث تستعمله في الكثير من الحلي والمجوهرات "كالجوهر"،"الدمالج"،"الخواتم"و"الحزازم".

د)السلاسل الذهبية:

إتخذ الإنسان من السلاسل المعدنية ، وأهمها الذهبية حلية يتحلى بها ويلبسها الرجال والنساء ، تفنن الصائغ في تشكيلها وإعدادها ، فأصبحت تحفة رائعة يتزينون بها وهي متعددة الأشكال والأنماط منها الرقيقة ، ومنها الغليظة ،ومنها الطويلة ، ومنها القصيرة .

تحمل هذه السلاسل حلية ذهبية كبيرة مطعمة بالجواهر "كالمسكية" و"الكرافاش" أو تميمة جميلة "كالخامسة" .

1)http//fr/wiki/louismonnaie

– **المسكية:** عبارة عن حلية ذهبية على شكل إجاصة عليها نقوش ، وفي بعض الأحيان فصوص تضعها العروس في سلسلة وتتزين بها ، كما توضع فوق "الجوهر" المصفف على الصدر (أي أثناء الشدة) .

– **الكرافاش:** يطلق على هذه الحلية في منطقة تلمسان بـ"كرافاش بولحية"، سمي بـ"كرافاش" لأن سلسلته غليظة ومفتولة كالحبل ، و"بولحية" نسبة إلى الأهذاب التي تتدلى من القطعة التي تشبك السلسلة ، وهي على شكل لحية .وهو جزء هام وضروري لتزيين العروس ولتكملة الشدة التلمسانية .

– **الخامسة:** كما قد تحمل هذه السلاسل الطويلة أيضا "خامسة" وتكون كبيرة الحجم تستعملها العروس في الشدة ، وهي آخر حلية تضعها على صدرها لتكون ظاهرة للعيان ، وذلك لدرء العين عنها ، وهذا تطبيقا للمقولة الشعبية القائلة: "خمسة في عين بليس " .

وبعدما ذكرنا المجوهرات والحلي الخاصة بصدر العروس ، نعرج الآن على ذكر ووصف ما تتزين به في ذراعيها ويديها ورجليها .

* **الأساور:** هي من حلي المعصم المعروفة ، لها تسميات مختلفة منها "الجبارة" وربما يرجع السبب إلى كبرها بالنسبة لغيرها من الحلي ، ومن اسمائها أيضا "الوقف" وذكر بأنه السوار المصنوع من العاج والذي كان يعرف بالسمك أيضا .[1]

وابسط الأساور ماكان على شكل حلقة معدنية تستدير ، أو تلف حول المعصم ويسهل تحريكها وتكون هذه الحلقة إما مغلقة أو يمكن فتحها وغلقها حسب رغبة المرأة .[2]

1) سهيل ، قاشا . مرجع سابق، ص 140 .

2)المرجع نفسه ، ص 141 .

ويطلق عليها في تلمسان بـ"القورميط"(gourmette) أو البراصلي (bracelet) وهو جزء ضروري من مهر العروس التلمسانية .

ومما هو جدير بالذكر أن حاليا ظهر نوع آخر من الحلي الخاص بالمعصم يسمى "باليد الجريحة" وهي عبارة عن أسورة تتصل بخواتم الأصابع تسبكها سلاسل ذهبية ومصدر بلدها السعودية وقد أصبحت المرأة في تلمسان تقتني هذه الحلية لتتزين بها في المناسبات السعيدة .

* **الدماليج:** يطلق عليها في تلمسان "الدمالج" أو "المنافخ" هي عبارة عن صفائح سميكة غليظة أحيانا تنقش عليها رسوم هندسية أو نباتية أو حيوانية وتحلى ببعض الفصوص ، إلا أن الدماليج تختلف عن الأساور بحيث لا يمكن فتحها أو غلقها ولكن تدخل مباشرة في العضد .

* **المسايس:** هي عبارة عن حلية مستديرة منها الرقيقة ومنها الغليظة ، عليها نقوش ورسومات بأشكال متعددة ، وفصوص في بعض الأحيان وتعرف في تلمسان "بالمسيبعة" وذلك لإحتوائها على سبعة "مسايس" ، وهم يعتقدون فأل خير في هذا العدد فهو في الوجدان الشعبي رمز للخير والبركة والصحة .

كما يعود تقديس هذا العدد دون غيره أيضا لمكانته في القرآن الكريم "سبع سماوات" "سبع سنابل" ، وفي التراث الشعبي كالسحر مثلا (إستعمال العدد السبعة في علاج الربيط ، علاج العين ، البخور ...) ، وفي الإحتفال بالمولود في اليوم السابع وغيرها من الطقوس والممارسات الشعبية .

* **الخواتم:** وهي ضرورية لتزيين أصابع العروس المخضبة بالحناء

* **الخلاخل:** هي جمع خلخال ، سميت بهذا الإسم لأن موضع الخلخال في الساق يسمى بالمخلخل [1] وهي دائرية الشكل ليتناسب مع شكل العقبين ، له فتحة جانبية لسهولة إرتدائه وخلعه وكثيرا ما ينتهي برأس ثعبان ، وهو رمز لإبعاد العين الشريرة .

وظائف الحلي التقليديةالتلمسانية:

أ) وظيفة ترتبط بالغرض السحري:

بجانب الوظائف التزينية للحلي في العصر الجاهلي كانت هناك وظيفة أخرى ترتبط بغرض السحرى حيث كان يعتقد أن الحلي بصفة عامة لها مفعول سحري فكان من عادة نساء الجاهلية إذ ما صعب على المراة العثور على خاطب لها أن تلجأ ليلا إلى نشر جانب من شعرها وتقوم بتكحيل إحدى عينيها وتخلخل بإحدى رجليها ثم تقول: " يالكاح أبغى النطاح قبل الصباح ....."[2] فعلى زعمهم أن هذا يسهل من أمرها فتتزوج عن قريب .

وكان من عادة العرب آنذاك تعليق الحلي والخلاخل على اللديغ لإعتقادهم إذ ذلك يجعله يفيق فلا ينام ولو نام لسرى السم في جسمه فمات ويذهب بعضهم إلى أن تعليق الحلي الذهب على اللديغ يبرئه من ألمه فكانوا يلقون عليه الأسورة والدعات يتركونها سبعة أيام ويمنع من النوم وفي ذلك يقول النابغة:

يشهد في وقت الحشاء سليمها ***** لحلي النساء في يديه فتعاقع

وإستعملت الحلي بصفة عامة لدفع الأرواح الشريرة كما إستعملت تعويذة لتفادي

1) سهيل ، قاشا . مرجع سابق ، ص 142 .

2) محمود ، حسن سليمان . الحلي الفضية في جنوب المملكة العربية السعودية، مجلة المآثورات الشعبية العددان 52،51 ، أكتوبر 1998 ، ص 400 .

الكوارث ولجلب الحظ السعيد ، وبهذا كانت الحلي على رأس الخمائل وهي كل ما يحمل أو يعلق أو يوضع في جهة ما يهدف دفع الآذى أو جلب الخير.

وكانت الحلي ضمن الأشياء التي تدفن مع الأموات للإعتقاد بأنها تمنح صاحبها الخلود والراحة الأبدية ومن جملة ماعثر عليه في المقابر مجموعة من الحلي منها أقراط وقلائد من ذهب بعضها كان على شكل هلال .

وقد ساد الإعتقاد بأن الذهب يطيل العمر ويكثر النسل ويضفي الصحة والجمال على حامله ولقرون طويلة ظل الذهب يمثل (المعدن الإلهي).

والإعتقاد في الأثر السحري للطلب ظل سائدا حتى وقتنا الراهن وخاصة عند الشعبين وإن أخذ الإعتقاد وصورة من صور التتمين والتبرك .

ب) الوظيفة الثقافية:

يعتبر المنتوج التقليدي بنك معلومات لمختلف الحضارات والمجتمعات التي مرت بالبلاد وذلك من خلال بصمات التي نجدها في شكل تصاميم ورموز تعكس الخصوصية الحضارية المنتوعة من طرف المجتمع الذي ينتمي إليه الحرفي وفي هذا الشأن قيل عنها " أنها تعبر عن هوية شعب وثقافة أمة جذورها غابرة في التاريخ[1] ، فهي بدون شك النافذة التي يمكن الإطلال مهنا لمعرفة الأصول وما طرأ عليها من تأثر وتأثير نتيجة الإتصال بغيرها .

فمثلا عرفت صناعة الحلي التقليدية في تلمسان عدة تأثيرات مرتبطة بالأحداث التاريخية التي مرت بالبلاد والتي تركت تأثيرها واضحا في التقنيات المتنوعة والرموز المستعملة في كثير من انواع الحلي التلمساني .

1) كلمة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة في الجلسات الوطنية لصناعات التقليدية بالصنوبر البحري ، الجزائر 21 إلى 23 نوفمبر 2009 .

2) الوظيفة الإجتماعية :

تتمثل الوظيفة الإجتماعية لقطاع الصناعات التقليدية في إستجابة لإستعابة لطاقات تشغيل هامة مساهمة في تقليص النزوح من الريف إلى المدينة وهذا ماسنوضحه في النقاط التالية :

أ) دور هذه الصناعة في تعبئة اليد العاملة : تلعب هذه الصناعة دورا مميزا لتعبئة اليد العاملة سواءا العنصر النسوي أو رجالي ، وهي تخص أيضا تلك الفئة التي ترغب العمل في المنازل .

ب) أهمية التوظيف في هذا المجال بحيث أنشئت هذه الحرفة أي الحلي التقليدية مساهمتها الفعالة في توفير فرص العمل .

ج) مساهمة هذه الحرفة في تقليص النزوح الريفي : تستجيب حرفة الحلي التقليدية للأهداف الوطنية المتعلقة بخلق وتوزيع الدخل في المحيط الريفي ويخفف من الضغط الديموغرافي على المدن ويساعد على تثبيت الحرفين في القرى وبالتالي إحداث نوع من التوازن في التوزيع الديموغرافي للسكان ، وإستغلال الأمثل للموارد البشرية والحفاظ على الحرف التقليدية المنتشرة كثيرا في الأرياف .

3) الوظيفة الإقتصادية والسياحية:

كثيرا ما يعتقد أن الصناعات التقليدية هي صناعات ذات أهمية فولكلورية ثقافية وهذا المفهوم غير صحيح ، إذ أن قطاع الصناعات التقليدية هو الأكثر إستجابة للأبعاد الإقتصادية والسياحية وهذا ما سنوضحه في التالي:

أ) تتمثل الوظيفة الإقتصادية لحلي التقليدية في أهمية الحرفة في الإنتاج القومي كما تعتبر هذه الحرفة ركيزة حيوية للقطاع السياحي وتملك قدرة تصديرية هامة .

ب) مساهمة الحرفة في الإنتاج الوطني : بحيث تحقق جزءا هاما من قيمة المضافة التي تكون مرتفعة في هذا القطاع مقارنة بالقطاعات الأخرى ، وهذا لإعتمادها على العمل اليدوي وعلى الموارد المحلية ، وتعتبر قيمة المضافة التي يحققها هذا القطاع في المساهمة في الإنتاج الوطني .

ج) ركيزة حيوية للقطاع السياحي : تلعب هذه الحرفة دورا هاما في تدعيم وترقية القطاع السياحي في تمثيل نسبة معينة من الإيرادات السياحية فالسائح يبحث دائما على أخذ منتوج تذكاري يعكس ثقافة البلد المضيف له ، وما يلاحظ كذلك من خلال التطورات العالمية لظهور السياحة الجماعية le tourisme de masse حيث لا يعود السائح إلى بلده بدون إقتناء منتوجات تقليدية التي تعتبر كواجهة للبلد أو المنطقة التي زارها ، كما أن أهمية المنتوج التقليدي بالنسبة للمستهلك الأجنبي لا يقتصر على السائح فقط ، بل أيضا على الشخص الأجنبي الموجود ببلده والسبيل الوحيد الذي يصل الحرفي التقليدي المحلي بالمستهلك الأجنبي في الحالة الثانية هو عملية التصدير .

تمهيد:

اهتم أهل تلمسان نساءا و رجالا بمظهر الملبس بحيث كانوا يلبسون أحسن الثياب في مختلف فصول السنة و يفضلون لبس اللون الأبيض و يعتنون بالهيئة والهندام وتخضع درجة الأناقة إلى الحالة الاجتماعية والمادية والثقافية لكل أسرة في تلمسان. فقد تميز سكان المدن بصفة عامة بالألبسة الأنيقة الرفيعة والجميلة بينما يلبس أهل البوادي الألبسة الخشنة والبسيطة من الصوف والكتان.

أما الأعيان الأغنياء فكانت ألبستهم من القطن والحرير والكتان والصوف الرفيع التي تشتهر به المدينة وبالرغم من هذا التنوع فإن لهذه الألبسة أبعاد إجتماعية وثقافية ، رمزية وتنموية .

الجانب الإجتماعي:

إن المرأة التلمسانية كانت أكثر حرص على جمال مظهرها و حسن هندامها وأناقتها حيث نجدها ترغب وتتمنى حراز الحجارة الكريمة و أنواع الحلي الذهبية والفضية. وتقلد القلائد والاساور والخواتم والخلاخل والأقراط وتتزين بها .[1]

و إن الميل الذي كانت توليه المرأة التلمسانية لاقتناء الحلي يهدف بصفة خاصة إلى المفهوم الاجتماعي فالمجوهرات كالثياب بالأمس تعتبر وسيلة للافتخار والظهور الثروة كما تعتبر وسيلة لإبراز المكانة الاجتماعية إذن فالثروة و المكانة الاجتماعية كانت تقدر في الماضي بمدى كمية المجوهرات التي تمتلكها المرأة و ترتديها في المناسبات الأفراح المختلفة.

و إلى غاية يومنا هذا فالحلي بقيت تكتسب أهمية عظيمة فبرغم من التحول الاجتماعي والتطور الاقتصادي الذي اجتاح العالم حديث.فهو لم يغير كثيرا من العادة المنتشرة في أواسط المدينة لاقتناء الحلي ومن هنا فالفتاة قبل زواجها غالبا ما تعمل من اجل جمع النقود اللازمة لشراء المجوهرات التقليدية كما إننا كثيرا ما نشاهد الآباء في العديد من الحالات يلجؤون للاستدانة من اجل الحصول عليها و إذا كانت الأسرة لا تملك ما يكفي من المجوهرات فغالبا ما تضطر إلى استعارتها من الأعضاء الآخرين في الأسرة أو من أصدقائها أو جيرانها و ذلك بغية في الظهور و كذلك في المناطق القروية فالنساء لهن نفس الشغف في اقتناء الحلي فالمرأة مهما كان مستواها الاجتماعي لا بد من أن ترتدي على الأقل سوار أو قرطين للأذنين أثناء الأعمال اليومية بالإضافة إلى المجوهرات مخصصة للأعياد والأفراح و بقية المناسبات الأخرى ولما كانت المجوهرات تكون جزءا من مهر الفتاة فإنها تبدأ في

1)الحسن ، الوزان . مصدر السابق ، جزء 1 ، ص 52 .

جمعها في السن مبكر فهي تحصل على سوارين و قرطين بمناسبة أول صيام. [1] و عند استقبالها لأول شاب يتقدم لخطبتها تحصل مرة ثانية على الحلي أما عند إتمام الخطوبة فان والدي الخطيب يقدمان لها مجموعة من المجوهرات كي ترتديها أمام المدعوين للتعرف على قيمة ثمنها و يبقى أقارب الزوج يرسلون لها في كل مناسبة أو عيد ديني حلية تدعى "مهيبة" و عند الزفاف فأقارب الفتاة هم الذين يتمنون للعروس ما تبقى من الحلي الضرورية لمثل هذا الحدث الهام.

و بصفة عامة فالأم التي تهدي لابنتها تلك المجوهرات التي ورثتها عن والدتها لان المجوهرات العائلية في العادة لا تنتقل من الأم إلا للبنت و لا تهدى لزوجة الابن وفي يوم الزفاف.تبرز العروس كل ما لديها من الحلي لان ذلك بالنسبة للأسرة يعتبر وسيلة للتباهي و للافتخار بالثروة أما بالنسبة للزوجة فذالك يعني بأنها دخلت حياة اجتماعية جديدة و أنها ستتحمل منذ الآن المسؤولية الجديدة الملقاة على عاتقها كما أنها إرتقت بدورها إلى مرتبة جديدة كربة بيت ففي تلمسان حيث التقاليد ثابت لحد الآن فحلي الزفاف بقيت فخمة كما كانت في الماضي فالزوجة ترتدي "قفطانا"[2] من المحملي الموشي بالذهب ثم تغطى بالحلي التقليدية من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها ويختارون امرأة[3] سعيدة في حياتها الزوجية لتتكلف بإلباسها و تزينها . و في

1) مقابلة مع السيدة زوليخة ,يوم 20-01- 2011 لديها محل كراء الملابس التقليدية.

2)القفطان : لباس تقليدي المشهور في المدينة الذي يمثل عادات تقاليد المنطقة و هو فستان العروس ليلة زفافها.

3) هي المرأة التي تقوم بإلباس العروس الزي أي" القفطان" وتدعى باللغة العامية نقافة

العادة يكون رأس العروس موضع العناية خاصة بحيث توضع فوقه شاشية* [3] وهي قبعة مخروطية الشكل من المحمل المطرز بأشجار و الزهور الذهبية كما يوضع فوق الجبين "العبروق" وهو عبارة عن وشاح طويل من الحرير الجيد المذهب الذي يربط عند الرقبة و ينزل على الكتفين بالغرض ثم يوضع فوق الوشاح ثلاثة أكاليل "جبين" * [4]الواحدة فوق الأخرى و هي مصوغة من الذهب المنقوش و المرصع بالأحجار الثمينة و في أسفل هذه الأكاليل توضع مجموعة من أقراط الجبين تدعى "الزروف"* [5] و هي مكونة من فصمم ذهبية مرصعة بأحجار كريمة.

ثم التعلق الرعاشة أو الأزهار المرتعشة في القبعة ليزيد لمعانها جمالا لهذه القبعة الفخمة . أما الصبغتان الخروص اللتان تكونان من حلقات ذهبية و عناقيد من اللؤلؤ فتعلق في الصبغين حتى تغطى الخدين.

أما صدر العروس فيختفي تحت العقود الكثيرة . كالعقود المصوغة من السلطاني أو اللويز و المضافة إليها مجموعة من الأقراط الذهبية و أحجار الزمرد و العقود الطويلة المكونة من اللآلئ النادرة والسلاسل الذهبية المسولة التي تعلق في أواخرها علب العطور المزينة بالخيوط الذهبية و الأحجار الكريمة و المسكة. أما الزنود فتتزين بالحناء ثم تغطى بالأساور المنقوشة أو المخرمة أو المنحوت أو المرصعة باللآلئ . كما تضع العروس في رجليها زوجا من البزيم المذهبة المفتولة والمرصعة برؤوس الثعابين مثلما كان الحال في القرو ن الوسطى.[1]

و في اليوم السابع من الزواج "نهار الحزام" فالزوجة تضيف إلى زينتها الفخمة "فوطة" و "حزام" مصنوع من القطع الذهبية المنقوشة .

* (3) ،(4)، (5) شرح الكلمات البربرية أنظر ص 98،99.

(1) بن ونيش ، فريدة. مرجع سابق ، ص18 .

إن إرتداء الحزام في مثل هذا اليوم له معنى رمزيا و هو يعني العادة انخراطها في الحياة الزوجية . فالزوجة التي كانت عبارة عن ملكة لمدة سبعة أيام يجب عليها بإرتداء الحزام أن تشرع في الأعمال المنزلية.

الجانب الثقافي للحلي:

إن المجتمع التلمساني يعمل على إحياء ماجمد من تراث ثقافي والعمل على المحافظة على باقي عناصر الثقافة المحلية التقليدية لأن الثقافة وجدت مند بدئ المجتمع البشري وكل الشعوب كونت لنفسها ثقافات معينة وإن كانت تختلف في درجة تطور هذه الثقافات .[1]

كما أنها ذات طبيعة تراكمية ولكنها خاضعة كظاهرة إجتماعية لعمليات الظفرة وبين التراكم الذي يعني المحافظة وبين الظفرة التي تعني الإبداع تتحرك الثقافة دائما من خلال عملية التغير الثقافي الذي يعتمد على التراكم من ناحية وعلى الظفرة من ناحية أخرى بما يحفظ لها الإستمرار والتوازن في كل حال .[2]

والثقافة في واقع الأمر صناعة إنسانية بحثه وإختراع يثري خالص فهي فاصل نوعي بين الإنسان وسائر الأحياء التي تقاسمه الحياة على هذه الأرض .

ومن خصائص الثقافة أنها متنوعة ، وأن لكل مجموعة ثقافتها الخاصة وهذا ما يسمى "بنسبية الثقافة " ولكن هذا التنوع وهذه البيئة لا يحولان دون التقاء هذه الثقافات جميعا حول أصل واحد أو إنتسابها جميعا إلى حقيقة واحدة :هي الحاجات

---

1) صالح ، أحمد . الإعلام الثقافي عنصر في التنمية ، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الدورة العاشرة ، تونس 1996 ، ص 206 .

2)المرجع نفسه ، ص 206 .

الأساسية ، وإنما تنوعت الثقافات بسبب إختلاف الرؤية وتعدد الوسائل المادية في القدرة عل إشباع تلك الحاجات .[1]

كما أن المنتوج التلمساني الخاص بالحلي يعبر بصدق عن وجود ثقافي جماعي ونكتشف هذا عن طريق الأشكال والأعمال الفنية لهذه المنطقة .وحتى يكون هذا المنتوج متشبع برسالة ثقافية يشترط أن لا يكون مقطوعا عن محيطه . أما الأمر الذي لايمكن تجنبه هو الحداثة وكذلك التحزلات التي تعرفه البلدان حيث تؤدي إلى ضياع المنتوج التقليدي الذي يفقد المعنى والوظيفة في نفس الوقت .[2]

ومن أعمق التأثيرات التي تركها الإستعمار الفرنسي في بلادنا هي ما يكمن أن نسميه بالتعبية الثقافية . ولقد عملت السلطات الأجنبية على تشويه البيئة الإجتماعية والثقافية وفرضت بواسطة الإمبريالية الثقافية بعض أنماطها الثقافية المتولدة عنها في الوقت .ولقد ساعد وجود الأجنبي الفرنسي على خلق ثقافة محلية تابعة للثقافة الأجنبية .

ولقد كان للإستعمار تأثير جذري في تغيير العلاقة بين الإنسان والطبيعية ، فتدخل بتكنولوجيا الحديثة وقوته ومصالحه .

ومما سبق يتضح لنا أن الوزن الحقيقي لأي مجتمع إنساني لا يقدر في عدد سكانه ومساحة أرضيته فحسب ولكن بقدر بنوعية التراكم الثقافي والتراث الحضاري الذي خلقته الأجيال السابقة وبمدى التجديد والمحافظة عليه لأنه يبرز هوية الأمة وشخصيتها .[3]

---

1)المرجع نفسه ، ص 207 .

2) boubaadiba (abdel wahab) : culture et societe . publication de l'universite de tunis 1978 .P109

3) بولبوط، ناصر الدين . الثقافة الشعبية والتقليدية في الجزائر ، التراث غير المادي الندوة الإقليمية حول تطبيق توصية اليونسكو بشأن صون الثقافة التقليدية والشعبية ، بيروت في:12/10 ماي 1999 ، ص 03 .

الجانب الرمزي للحلي:

يرى الزلي هوايت LESLIE WHITE أن كل ألوان النشاط الإنساني تتبع من إستعمال الرموز ، فالرمز هو الذي إستطاع أن يحول أجدادنا إلى أشخاص متفاعلين ، فعن طريق الرموز نبعث جميع الحضارات .فالرمز هو الذي يحول الطفل من مجرد إنسان عاقل (HOME SAPION) إلى شخص إنساني وجميع أنواع السلوك الإنساني تتكون من الرموز وتعتمد على إستخدامها . فالسلوك الإنساني سلوك رمزي والسلوك الرمزي سلوك إنساني .

فالإنسان يسستطيع عن طريق الرموز على إختلاف أنواعها نقل أفكاره إلى غيره وتصوير مواقف كثيرة ، ووصف أنواع من السلوك والإتجاهات والمشاعر والواقع أن الفترة على إستعمال الرمز والإتصال عن طريق الرمز ، تلك القدرة التي يمتاز بها الإنسان على الصواب ، تلعب دورا كبيرا في تراكم التراث البشري وفي نمو الثقافة وتطورها . وقد ورد في قاموس "فيرتشيلد" أن أصل الثقافة كصفة مميزة للجنس البشري ، يرجع إلى قدرة الإنسان الفائقة على التعلم من خبراته ، وعلى نقل ما يتعلمه بوساطة الرموز ومن أولها اللغة .

والرموز أشياء تدل على أشياء أخرى ، وهي تشتق معناها ووظيفتها الأساسية من إجماع الجماعة التي تستعملها على مدلولات معينة أي المعايير الإجتماعية لدى الجماعة هي التي تحدد الأشياء والمعاني التي تدل عليها الرموز المستعملة في هذه الجماعة بمعنى أنه لا يكون لهذه الرموز أي معنى بالنسبة لشخص آخر غريب عن الجماعة ولا يعرف شيئا عن معاييرها .

فالرموز كما يقول (مكفير) و(بيج) :"تمثيل لمعنى من المعاني أو قيمة من القيم والرمز علامة خارجية أو إيماء ينتقل عن طريق التداعي ، فكرة أو تستشير شفورا أو أي إتصال عن طريق اللغة أو عن طريق آخر غيرها ، لابد أن يستخدم الرموز ، ومن النادر أن يستطيع المجتمع أن يعيش بدونها ."

ومن أهم أنواع الرمز اللغوية ، فللغة كرمز تقف على رأس قائمة الرمزو كأداة للتماسك والإتصال بين أفراد الجماعة الواحدة .فهي الوسيلة الأولى للتفاهم ولنقل المعايير وإبراز القيم والمفاهيم المشتركة وإستمرارها .

وفي هذا يقول الخشاب :"تعتبر اللغة حجر الزاوية من كل ثرات إجتماعي وثقافي لأنها الوسيلة الأولى للتخاطب والتفاهم وتبادل الآراء والإتفاق على أساليب العمل وتفكير ، وبدونها يعتبر الإجتماع الإنساني " كما يقول أيضا:" أنها أول وسيلة من وسائل المواصلات إعتمد عليها المجتمع في نقل تراثه الثقافي بصفة عامة ، فلا عز وإذن أن تكون اللغة هي الوعي الجمعي ".

وللغة كما يعرفها (برام BRAM): " نظام موضوع من الرموز الصوتية القسرية يستطيع بواسطتها أعضاء الإجتماعية أن يتفاعلوا ، ويرى مالينوفسكي أن اللغة هي المظهر الثقافي الذي يتضمن أكثر من أي مظهر ثقافي آخر العناصر المتواضع عليها .

والعادات الشعبية سواء ما إرتبط منها بالزواج أو الإنجاب أو بغيرهما من المواضيع التي تخص حياة الأفراد والجماعات ، هي أنماط من السلوك تتضمن القيم الذاتية

التي تعتز بها الجماعة ، كما تتضمن أنواع من التفكير والتصورات والمعتقدات الخاصة بها والسائدة فيها والتي تنتقل بينهما من جيل إلى آخر .ولذلك فإن العادات الشعبية ترتبط إرتباطا كبيرا باللغة التي تتخاطب بها الجماعة .

فلا يمكن أن توجد أفكار معتقدات وتصورات دون كلمات ودون لغة ورموز لغوية بل إن نوع هذه الأفكار والمعتقدات والتصورات وطريقة التعبير عنها يرتبط إرتباطا وثيقا باللغة التي يتكلمها الأفراد فالعادات الشعبية عادات الزواج والإنجاب أو عادات غيرهما من شؤون الحياة ، إنها توفها أساسا الرموز اللغوية وإلى جانب الرموز اللغوية ، نستطيع أن نذكر عدة أنواع أخرى من الرموز مثل الخواتم التي تقدم في مناسبات الخطبة والزواج ، وهناك أشياء كثيرة تستعمل في هذه المناسبات إستعمالا فيه رمز كالماء والسكر ، الحلويات والشموع ...الخ .

كانت الحلي تستعمل كوسيلة للحماية من العالم الخارجي وضد قوى الطبيعية وكانت ترافق الإنسان في القبر إلى العالم الآخر ويشهد على هذا المعالم الجنائزية التي دفن بها أفراد مرفيقين بزينتهم وخاصة بحليتهم كما هو الحال في المقابر الحجرية الدولمن لبني مسوس بالقرب من الجزائر العاصمة .[1]

ومنذ القدم والزينة تعتبر حركة وسلوكا سحريا ، كما تعتبر المجوهرات في البداية طلمسا وتعويذة ، موجهة لكسب الطبيعة ولإبعاد الحظ السيء ولحماية وتمديد الحياة

1) حدوش ، عبد القادر . الحلي والمصوغات الجزائرية عبر التاريخ (أصول حلي مرحلة ماقبل التاريخ)، الجزائر، سنة 2007 ، ص 27 .

وزيادة الخصوبة ولذا كانت لرسوم المجوهرات ولأشكالها الهندسية ورموزها الفلكية والحيوانية معنا رمزيا سحريا .[1]

وإذا كانت الحلي في أيامنا هذه تؤدي وظائف عادية –الإكتناز–الإغواء– أما ما يدهشنا تاريخيا فهو البعد الرمزي والوقائي للإشارات ، والأشكال والمواد المشكلة له.[2] فنجد أن الثعبان عند القدماء رمز للعلم ، أما في المعتقدات الشعبية فقدرة لتفجير الينابيع وتفتيق الحبوب ، أما في الوقت الحال فنجده يرمز للحياة والخصوبة وتحبه نسوة الأوراس كثيرا ، فنجده في حلقات الأرجل على شكل حراشيف جلدة المتمثلة بتحريزات ورأسه المتمثل في نهاية الحلقة .

والسمكة "الحوتة" لكثرة بيضها رمز للخصوبة أما في الوقت الحالي فهي ترمز إلى الهناء وتسمح بإبعاد العين وتبرز حراشيفها المحززة على السطح العريض للحلقات جمال حلقات الأرجل الشاويات .

كما أن المثلث الذي يمثل صورة الأنثى رمز للخصوبة واليمامة هذا الرمز العالي الحامل للسلام والحب نجده بارز على محبك الحزام .

أما الصليب والنجمة واليد والعين فرمز للقدرة على إبعاد العين الشريرة .

أما من ناحية المواد التي كانت تستخدم في الصنع فهي الأخرى كانت لها دلالات ورموز معينة فنجد :

ريش النعام الذي كان يرمز إلى وظيفة القائد أو المحارب بمنطقة النمامشة .

---

1) بن ونيش ، فريدة . مرجع سابق ، ص 11 .

2) تامزالي ، وسيلة . الحلي والمصوغات الجزائرية عبر التاريخ ، "رموز ومعاني الحليفي الجزائر" ، الجزائر سنة2007 ، ص 96 .

أما العنبر فهو يحمي الأطفال من الأمراض .

الزمرد الذي يجلب سقوط الأمطار .

المرجان فهو يحمي من العين وجلب الخصوبة .

أما عن الألوان فنجد :

الأخضر يرمز للجبال

الأزرق يرمز للسماء

الأصفر يرمز للشمس

أما الإبزيم الدائري يحمي العروس من السحر .

الجانب التنموي :

ومن جانب آخر فإن العامل الإقتصادي يلعب دورا مهما في الصناعات التقليدية من حيث تطوير أساليبها وإنتشارها .

والحرفيون بممارستهم للنشاط الإنتاجي النفعي التحويلي أو الصيانة أو الخدمات تساعد المواطنيين في تلبية حاجاتهم الإقتصادية – فالصناعة اليدوية– تلعب دور مهم وبارز في الجانب الإقتصادي لأنها تعد مصدر يعتمد عليه السكان في عيشتهم وهذا القطاع يستحق كل العناية لأنه يساهم في تقليص البطالة بإستحداث مناصب شغل جديدة لإنعاش القطاع الإقتصادي .

إن الدولة التي تشكو من تضخم سكانها يجب أن تهتم بالحرف اليدوية وتنميتها وتنظيمها لأنها تستوعب أيدي عاملة كثيرة لا يمكن للمصانع الحديثة إستعمالها.[1]

1)الساعاتي ، حسن . علم الإجتماع الصناعي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، طبعة 03 بيروت سنة 1970 ، ص 50 .

لهذا نجد حرفة الحلي التقليدية تلعب دورا هاما في الإقتصاد الوطني من خلال إتاحة فرص العمل بخلاف ما تكفله من أمان وظيفي للفرد الذي يملك مشروعه الخاص ويرتبط الجانب الإقتصادي في صناعات الحرفية بالجانب إجتماعي هام وكثيرا ما ترتبط هذه الصناعات بالعائلة ، فتوفر فرص العمل لأفرادها من رجال ونساء في مختلف الأعمار بما يسهم في زيادة مشاركة المرأة في الأنشطة المولدة لدخل [1].

وتزداد الأهمية الإقتصادية لهذه الحرفة في تواضع راسمال المستثمر فيها وقدرتها على تلبية إحتياجات أسواق الدول المتقدمة .

وكانت الحليات التي تحصل عليها المرأة سواء أثناء عقد زواجها والذي يسمى "الصداق" أو مناسبات أخرى سواء دينية أو إجتماعية تعد ملكا خاص بها وتدخرها لضمان مستقبلها ، وذلك كما ورد في المثل الشعبي:"الحدايد للشدايد" أي المجوهرات وجدت لأيام الأزمات . لأن المرأة يمكن لها أن تصبح في يوم من الأيام لوحدها أو تبقى خالية الوفاض .

أو يعم أسرتها شر ما أو يكون المحصول الزراعي سيء ،ففي هذه الحالات يمكن لها أن تبيع حلية واحدة أو عدة حليات لتخرج سالمة من المصيبة التي أصابتها أسرتها على أساس أنها تعوض ما فقدته من الحلي حين تتحسن الأوضاع المالية فالمجوهرات في هذه الحالة تكتسب معنا إقتصاديا بجانب محافظتها على قيمتها التجميلية. وأن قطع النقود الذهبية التي تحول إلى عقد أو حزام وكذلك الخلاخل الضخمة التي تضعها المرأة في رجليها وهي تشبه السبائك الذهبية أكثر من شبهها للمجوهرات لتبرز القيمة الجديدة التي تمتاز بها الحلي .

---

1) نهى إبراهيم ، خليل إبراهيم ، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية الإقتصادية والسياحية مؤخوذة عن أحمد صقر عاشور ، التنمية وقضايا الإصلاح المؤسسي في مصر ، كلية التجارة جامعة الإسكندرية ، سنة 2005 ، ص223 .

خطة البحث الميداني :

تمهيد

1) مميزات العينة

أ) السن

ب) الجنس

ج) مكان الإقامة والولادة

د) المستوى التعليمي

و) الخبرة

2) الحرفة كملكية

3) الحرفة كوراثة

4) النظرة القبلية للحرفة

5) سن الإلتحاق بالحرفة

تمهيد:

إن صناعة الحلي وإنشائها تعتبر من الأشياء الفاتنة والساحرة لدى الحرفي ، فهو الذي يحول المادة كما أنه هو الذي يخلقها ويخرجها في بعض الحالات ، لذا قمنا الواجب عليه أن يعرف فن الطرق والسبك والرسم والقص والرصع والنقش والنحت بجانب ذلك يجب أن يتمتع بحاسة الزخرفة والتناسب والتناسق ، وفي هذا الفصل إرتئينا أن نوضح هذه الأشياء بشكل معمق ومفصل دافعا منا للخوض ففي إستجوابات مفتوحة مع الحرفيين الذين يشكلون عينة بحثنا هذا .
وصولا إلى إجابات تشغل فرضيتنا وإشكاليتنا حول هذا الموضوع .

مميزات العينة:

تضم عينتنا المختارة 15 فرد أي حرفي ذو فئات متفاوتة في السن فأصغر سنا يبلغ من العمر 20 سن وهو يمثل حرفي واحد ضمن 15 حرفي من عدد العينة كذلك الأكبر سنا هو 35 عاما وهو يمثل إثنان من 15 من عدد العينة المختارة .

فممارسة الشباب لهذه المهنة راجع إلى الوسط أو المحيط العائلي الذي نشأ وافية وكذلك حبهم للصنعة ، وإتخاذها كمصدر عيش لهم وكذلك وراثتهم للحرفة عن أبائهم وأقاربهم بإعتبارها حرفة وراثية بدرجة الأولى .

رغم إختلاف السن من حرفي إلى آخر لكن الشيء المشترك بينهم هو الإرتباط والحب والحفاظ على هذه الحرفة لأنها تمثل تقاليد بلادنا .

وباضافة إلى مؤشر السن نجد موشر الجنس فاعليته العينة كانت ذكور لم نصادف أناث في هذا المجال .

مجتمع البحث:

لقد إقتصر مجتمع بحثنا هذا على مدينة تلمسان بإعتبارها مدينة الفن والتاريخ وهكذا تعرف في وقتنا الحاضر ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ماعرفته عبر مرور العصور من تعاقب لحضارات مختلفة تركت كل واحد منها آثار لايزال الكثير منها قائما يشهد على مدن التطور الفني الذي حظيت به وقد عبر المؤرخ مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر قائلا عنها أنها فلاحية بطبيعة آراضيها ، تجارية بطبيعة موقعها ، صناعية بطبيعة سكانها [1].

1) مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث طبعة ، الجزائر ، جزء 2 ، ص377 .

تحليل عناصر المقابلة

1) الحرفة كملكية:

إن الخصائص الطبيعية لمدينة تلمسان لم تجعل منها مجرد مؤسسة عمرانية تعيش على حساب الريف والبادية وتكتفي بدور السوق الإستهلاكية بل تحولت إلى محطة كبيرة للإنتاج الزراعي وورشة صناعية ، إشتغل أهلها بمختلف الحرف والصناعات ولهذا كان ولا يزال أصحاب مشاريع خاصة بهم ، أي ملكهم الشخصي وهذا ما صدفناه عند قيمنا بالمقابلة وتلقينا لإجابتهم حول هذا السؤال . ويعني هذا كله توريث المهنة من الأب إلى الإبن أي تعلمه الحرفة منذ نعومة أظافره وذلك بالإستماع خلال ذلك لنصائح أبيه وتقليده ومساعدته وفي آخر المطاف يكون محيطا بكل أسرار المهنة ليصبح بدوره معلما .

تحليل المقابلة

2)الحرفة كوراثة:

إن الحرف والصناعات في مدينة تلمسان مختلفة ومتنوعة ، تعددت معها أصناف الحرفيين والعاملين في القطاع الصناعي والحرفي وما إليهم ، تميزوا بالنشاط والمهارة في إتقان صناعتهم ومنتوجاتهم الحرفية التقليدية .

وغالبا ما نجد ملكيات الورشات المهنية والوحدات لعائلة واحدة . وهذا حفاظا على الحرفة من الإندثار ، وقد لاحظنا وجود تعاون بين أفراد العائلة في مجال الحلي التقليدية وعلى حسب سرد أقوال المبحوثين .

يعتبر هذا النشاط وراثي كما قال لنا أحد الحرفيين:"هذه الحرفة لها أكثر من ثلاثين عاما وهي موروثة عن أجدادنا أي ورثوها أبائنا وها نحن نتمسك بها اليوم ".

وكل هذا يدل على أن مثل هذه الأنشطة تتطلب التعاون بين الأفراد سواء في نفس العائلة أو بين الحرفيين فيما بينهم .

تحليل مقابلة

3) النظرة القبلية للحرفة:

إن الميول وحب العمل هو الذي ينشأ النظرة لدينا في أي مجال كان..... سواء حرفي أو مهني ، نظري أو تطبيقي وهذا ما شدنا خلال قيمنا بمقابلة مع الحرفيين فجلهم دفعتهم حب الحرفة إلى تولد أفكار وإبداعات في هذا المجال .

فنظرة إليها – أي الحرفة – كانت منذ نعومة أضافرهم بتعبير آحرى ، أي نشأت معهم في بيوتهم وداخل منازلهم وهذا ما عبرت عنه الحالة السابعة في قوله:"هذه الحرفة ولدت معي .....عندما فتحت عينيا وجدت أبي الذي كان صائغ وقبله كان جدي الذي لقنه النشاط وعلمه خباياه" . ولهذا يمكننا القول بأن النظرة تتولد من ميولنا .

تحليل المقابلة

4) سن الإلتحاق بالحرفة:

إن مزاولة الحرفي لعمله في هذا المجال أي الحلي التقليدية يتطلب منه جهد عضلي وفكري في نفس الوقت لما تحتاجه هذه الصناعة من فن ودقة وتركيز لهذا نلاحظ أغلبية الحرفيين في هذا المجال ينتمون أو يلتحقون بهذه الحرفة في سن صغيرة إن صح القول ، أو بتعبير آخر في عمر فتي وهذا راجع لتقنيات الأولية المستخدمة في الصياغة التي تعتمد على النار وبعض الأدوات ووسائل للطي والضغط والتسطيح والتدوير وتحويل الأشكال وتغيير بواسطة المطرقة والسندان والملاقط وأدوات الضغط ..... إلخ من الأدوات المستعملة ، وهذا ما نلاحظه في متوسط العمري لعينة بحثنا التي تراوحت من السن 16 عاما إلى 22 عاما كسن أولية عند إلتحاقه بمهنة .

تحليل مقابلة

5) تمثل الحرفة:

إن كل نشاط ينعكس على ذات الفرد ، فهناك من يمارس حرفة أو مهنة بغرض مادي وهناك من يهتم بحرفة ذاتها وتستهويه العمل فيها ونقول عنه أنه يهواها وهناك من يتجه بنظرة إلى إتجاه آخر .

ولكن الملاحظ في فئة بحثنا هذا من خلال إستجوابنا لهم أن ميولهم كان ما تلهمهم به هذه الصناعة قبل أن تكون مصدر رزق .

تحليل مقابلة

6) سعر المنتوج:

بحكم غلاء المادة المتمثلة في الذهب ومن المعروف أن هذه المادة قليلة وصعبة الحصول عليها ، جعل الحرفيين يعانون كثيرا و يتلقون عراقيل في الإنتاج ومشاكل وهذه إحدى الأسباب التي تجعل أسعار السلع ترتفع مما يصعب عملية البيع والشراء. وهذا ما عبر عنه أحد الصاغة بقوله:"غلاء المادة الخامة سواء كانت معدن أو معدن مستخدم أي ذهب قديم يستعمل ويعرض للبيع ، جعل الأسعار في إرتفاع دائما ، مما جعل حركة التجارة بطيئة ".

تحليل المقابلة

7) التجارة في الحرفة:

إن الحركة التجارية في مدينة تلمسان كانت ولا تزال تعرف تطورا ملحوظا ونشاطا مستمرا وخاصة في مجال الحلي التقليدية ، فهذه الصناعة كما قالوا عنها تقوم على تنمية الحركة التجارية وربط العلاقة الإقتصادية فيما بينها ، كما أن لها مساهمة فعالة في الدورة الإقتصادية . وأغلبية المبحوثين الذين قمنا معهم بالمقابلة أقروا على أن التجارة في هذا المجال مربحة وفيها فوائد عديدة ، إلا إستثناءا في بعض الأحيان تتعرض لبعض المشاكل مما يصعب دوران عجلة التجارة التي تعرف حركة دائمة .

تحليل المقابلة

8) زبائن الحرفة:

من خلال المقابلة التي قمنا بها والنتائج التي تحصلنا عليها وجدنا أن أغلبية الزبائن ينتمون إلى الفئة الغنية وهي التي يقبل على شراء الحلي التقليدية ، في المقابل نجد الطبقة المتوسطة تقتني الحلي إلا في المناسبات مثل الأعراس والأفراح وهذا عند الحاجة نظرا لغلاء المادة وقلة الدخل وصعوبة المعيشة وكثرة الطلبات ، وحسب قول أحد الحرفيين :"غلاء المادة هو الذي جعل الزبائن لا يميلون إلى الذهب بل أصبحوا يتجهون إلى شراء ما يسمى "البلاكي" أي نحاس ويصنع على شكل ذهب ويباع في محلات خاصة به لهذا الناس أصبحت تميل إلى إقتناءه نظرا لرخصة مادة صنعه ".

تحليل المقابلة

9) إستعمال المنتوج من طرف الزبائن:

إن لبس الحلي أو إستعماله يستهوي المرأة بالدرجة الأولى وخاصة ، تلك التي تنتمي إلى الطبقة الغنية ففي القديم وإلى يومنا هذا إن صحا القول كان لبس الحلي تعبيرا عن مكانتها الإجتماعية ، ولكن النظرة تختلف من فرد إلى آخر ومن طبقة إلى أخرى ومن زمن إلى زمن يليه .

ففي القديم كانت تستعمل بعض الحليات التي تحمل بعض الأشكال مثل اليد ، الحوته ، ثعبان .....إلخ من الأشكال التي إستهوت أنامل الصائغ خلال تفننه في صنع ، إلى عرض معين وكل شكل وله تعبيره .

وهذا ما هو إلا دليل إلى ميول الناس إلى مثل هذه الحرفة لما لها من رموز ومعاني كانوا ولا يزالوا يستبركون بها وبإضافة إلى هذا نجد في المقابل ميول مادي على حسب تعبير الحالة الثالثة خلال إستجوابنا فعبر قائلا: " الحدايد وقت الشدايد" مثل يضرب عندنا لخطرش الذهب يوجد وقت الحزة أي وقت الحاجة على هذا المرأة تميله بزاف .

تحليل المقابلة

10) مستقبل الحرفة:

مستقبل أي حرفة مرتبط بأيادي التي تقوم بهذا النشاط ولهذا يمكننا القول أن الحلي التقليدية هي الأخرى مستقبلها مرتبط بالحرفيين نفسهم بالدرجة الأولى والسلطات المعنية .

لكن الملاحظ من خلال إستجوباتنا التي قمنا بها فإن معظم الحرفيين مستائيين من الوضعية التي يعيشها الحلي التقليدية وسط الظروف التي تحيط به من غلاء المادة وقلة الحرفيين و.....الخ ، من المشاكل التي تهدد مستقبل هذه الحرفة .

وعلى حد تعبير أحد الحرفيين الذين قمنا بالإستجواب معهم : "الحرفة بمواليها" أي الأيادي التي تحافظ على أصالتها .

وهذا ما دفع بتدهور الحرفة وتدحرجها في مسار مجهول .

تحليل المقابلة

11) المساعدات الخاصة بالحرفة:

هذا السؤال شدنا كثيرا من خلال إستجوابنا للمبحوثين حول مساعدات السلطات المحلية ، فكل الإجابات نفت أي مساعدة من طرف السلطات ولهذا نجد أغلبية المبحوثين إكتفوا بقولهم :"لا توجد مساعدات من طرف السلطات".

وقال آخر:"لو كانت مساعدات من طرف السلطات لتوسع إبداعنا وزاد إنتاجنا لكن نحن نعاني من قلة المادة المعدنية وغلائها " ، وعدم وجود تسهيلات فنخن نكتفي بما نملكه من مادة ومواد وأدوات وهذا غير كافي لزيادة الإنتاج والنهوض بهذه الحرفة إلى الأمام رغم ما تحمله هذه الأخيرة من قيمة مادية ومعنوية .

تحليل المقابلة

12) النظرة للضرائب الخاصة بالحرفة:

إن النظر إلى الضريبة بالنسبة للحرفيين ، لا تمثل إشكالا على حسب تعبيرهم فجل المبحوثين أقروا بدفعهم إلى الضرائب ولا توجد لديهم إشكال. إلا الحالة الأولى التي وقعت معي في إلتباس ظنا منها بأننا من عمال الضرائب فلمسها نوعا من الخوف عندما طرحنا عليها السؤال الخاص بالضرائب أي انها لم تثق فينا رغم تقديمنا لها في بداية الإستجواب حيث قالت:"نتمنوا متخدموش مع ليزانبوا" وهذا دليل على تخوف مالكي المحلات أي كان نوع نشاطه من الضرائب بإعتبارها شيء قانوني إلا إستثناء يعبر عن نفسه.

تحليل المقابلة

13) الدافع لتلقين الحرفة:

إن التعريف بأي منتوج يعتمد على تعلمه وتعليمه ، وهذا بدافع المحافظة عليه من التهميش والإندثار ، فالأيادي التي يوما ما تكون هي صائغة قد تصبح يوما هي سبب في التدمير والخراب وهذا ما نلمحه في أي مجتمع كان .ولهذا وجب علينا المحافظة على عادتنا وتقاليد بما فيها حرفنا التي إعتمدها أجدادنا وأبائنا وكما قال:"كاد المعلم أن يكون رسولا" أي القيمة والدرجة التي يشبه بها معلم أي صنعة أو علم كان .... ودافع وراء هذا كله هو المحاولة والمحافظة على الصنعة من الإختفاء والزوال كما جى لبعض الحرف التي لم يبقى لها مجرد حكايات يتداولون عنها .

وعلى حسب إصرار أحد الحرفيين الذين قمنا معهم بالمقابلة في قوله :" لازم علينا نحافظوا على حرفة جدادنا وتعلموها أولادنا وأحفادنا " وهذا ما هو إلا دليل على حب وتمسك الحرفي بمهنة رغم كل الصعوبات والمشاكل لانها تمثل له اللقب الثاني بعد لقبه الرسمي .

تحليل المقابلة

14) النظرة للحرفة:

أن أغلبية الصناعات أو جل الحرف أن صحا القول تمارس من أجل كسب الرزق فنجد الحدادة والدرازة والنجارة وغيرها من الحرف يعمل جاهدا أصحابها لتأمين معيشتهم بدرجة الأولى لكن الملاحظ من خلال بحثنا هذا أن حرفة الصناعة أخذت مجرى آخر .

فأغلبية الحرفيين ينظرون لها بأنها هواية بدرجة الأولى لما تحمل هذه الصناعة من رموز ومعاني يبهر الناظر إليها وخاصة المحتك بأوليتها من مادة وأدوات صنع فالهاوي لمجال الصاغة نجده يطلق العنان لأفكاره وإبداعاته بغض النظر عن الأرباح الناتجة عنها .

أنواع المجوهرات الخاصة بالمرأة التلمسانية:

النوع	المنطقة الأكثر إقتناء	السعر الحالي	نسبة المبيعات	يتماشى مع الزي
الخرصة " لونايس "	جل المناطق لأن إرتدائه مع الشدة بإعتبارها الزي الخاصة بمنطقة تلمسان	35.000.00 دج	متوسط	الشدة التلمسانية
الزروف	المرأة التي تعيش في المدينة تهتم به كثيرا نظرا لجماله	55.000.00 دج	متوسط	ضروري لتكمله الشدة تلمسانية وفي بعض الحالات تستعمله العروس لوحدة مع البلوزة
التاج	أغلبية المناطق تريديه لأنه أساسي يزيد المرأة قيمته وجمال	35.000.00دج	متوسط	الشدة تلمسانية
الجوهر	تختص به المرأة التلمسانية أي التي تعيش في المدينة	80.000.00 دج	مرتفع	الشدة التلمسانية

أنواع المجوهرات الخاصة بالمرأة التلمسانية:

النوع	المنطقة الأكثر إقتناء	السعر الحالي	نسبة المبيعات	يتماشى مع الزي
كرافاش بولحية	تختص به المرأة التلمسانية ذو المستوى المرموق لأنه يكلف كثيرا من المال ولا يستطيع إقتناءه من كل المناطق	500.000.00دج	مرتفع جدا	يتماشى مع جميع الأزياء وخاصة التقليدية
المسكية	أغلبية المناطق التلمسانية ترتديه لأنه يحمل صورة جميلة عند إرتداءه	65.000.00دج	مرتفع	يتماشى مع الألبسة التقليدية
الخويمسة	المناطق الريفية تلبسه وهذا لدافع العين إعتقادا منهم	من 30.000.00دج إلى75.000.00دج	متوسط	يتماشى مع الشدة والبلوزة العربية
خواتم	أغلبية المناطق تلبسه وهذا لتنوع أشكالها وأسعارها	35.000.00 دج	متوسط	تستعمل لتزين الأيادي وتتماشى مع الأزياء كلها

أنواع المجوهرات الخاصة بالمرأة التلمسانية:

النوع	المنطقة الأكثر إقتناء	السعر الحالي	نسبة المبيعات	يتماشى مع الزي
منافخ المسيبعة	أغلبية المناطق سواء حضرية أو شبه حضرية	120.000.00 دج	مرتفع جدا	نفس الشيء بالنسبة للمنافخ والمسيبعة وهذا لتزين الاذرع
البريم خلخال	تختص به المناطق الحضرية قليلا ما نجده في المناطق شبه حضرية	500.000.00دج	مرتفع جدا	قليل الإستعمال بحكم غلاءه ويوضع لتزين الأرجل
محزمة	أغلبية المناطق تلبس المحزمة لأنه شيء ضروري في الزي التلمساني وعند جل النساء سواء متمدنات أو ريفيات	80.000.00دج	مرتفع	تستعمل مع البلايز التقليدية فقط

ملاحظة: السعر الحالي للذهب لشهر أفريل لسنة 2012 بـ: 5.600.00 دج للغرام الواحد .

التعليق:

من خلال الجدول المطروح يتضح لنا مدى مساهمة الحلي (المجوهرات) في التنمية المحلية وهذا من خلال ما يمثبه الحلي من مادة أساسية الإقتناء عند المرأة التلمسانية رغم غلاء المادة ، إلا أن هذا لم يمنع المرأة التلمسانية سواء كانت حضرية أو ريفية أو تنتمي إلى منطقة أخرى ، من التزين به وشراءه وهذا ما يفسر لنا الأهمية العظمى التي يكتسبها رغم التحول الإجتماعي والتطور الإقتصادي .
إلا أن هذا لم يغير من العادات المنتشرة في أواسط المدينة لإقتناء الحلي مما يفتح باب التنمية المحلية ويدفع بنمو الإقتصادي .
فنجد إقتناء الحلي يكون أو يختص بالمناسبات من ما الأعراس التي تفرض على أهل العريس شراء مهر العروس المتمثل في مجموعة من الحليات وكل منطقة تختلف في شرط المهر ، وعلى حسب المقدور فمنطقة تلمسان هي الأخرى لها عادات تختص بها فنجدها تشرط على العريس خاتم الخطوبة باضافة إلى سلسلة مسيبعة والمنقوش . وفي مناطق الريفية يكتفي البعض بخاتم الخطوبة تدعى " خاتم الكلمة " والآخر هو حر على حسب الحاجة والظروف لهذا نجد إختلاف بين إقتناء الحلي العروسة من المدينة إلى الريف وبإضافة إلى الأعراس توجد مناسبات أخرى مثل المواليد والمولد النبوي يوجد من يقتني في مثل هذه الأفراح مجموعة من الحليات كمدينة للصغار ويوجد من لا يقوم به وهذا راجع لغلاء المادة وخاصة في الأوانة الأخيرة .

اما في الجانب السياحي فنجده موسمي مثله مثل الأفراح التي تعم في فصل الصيف وربيع بكثرة ، وإقتناء السياح للذهب يعود لرخصة بالنسبة لهم مقارنة ببلد التي يقيمون بها ونظرا لإرتفاع العملة وآخرين يرجحون الإقتناء إلى جودة المادة . ففي نظرهم الذهب الجزائري هو أفضل ذهب على حسب تغير الساعة لهذا نجد إقبال كبير على هذه المادة من قبلهم ، مما ينشط القطاع الإقتصادي وباضافة على الجانب الإقتصادي نجد من يقتني الذهب الجزائري بصفة عامة والذهب التلمساني بصفة خاصة لوجود فيه بعض الصبغات الحضارية التي تعبر عن حضارة وهاته بلد مثل منطقة تلمسان .

الخاتمة:

وأخيرا ، فقد ظلت مشغولات الحلي محتفظة بطابعها قرون عديدة ، نظرا للتوارث الحديث والمنتظم لأصول الصيغة وفنونها فكان الصانع الأحداث يتاح له الإطلاع المستمر على المشغولات الأقدم ولهذا فإن مشغولات الحلي التي صيغت قبل قرون نراها تتشابه كثير مع المشغولات الأحداث عهدا .

ومن الملاحظ أن زخارف الحلي في تلمسان تمتاز بالفراضة والذوق السليم وتنطوي على أعراف وتقاليد وعادات أهلها ، فهي تعد إحدى الواجهات الثقافية للمدينة حيث تدل في كثير من الأحيان على التميز القبلي ويمكن إعتبار بعض الزخارف الأقدم عهدا بمثابة وسم قبلي فقد لازم الوسم حياة .

والحلي جزء مكمل لزي المرآة الجزائرية بصفة عامة وفي منطقة تلمسان على وجه الخصوص ، والمرآة التلمسانية لا تتخلى عن حليها حتى في أثناء عملها اليومي– ومن جلب المياه ونظافة البيت وأعمال الطحين والعجين والخبيز وبينما ترى المرآة هكذا نجد الرجل على خلاف ذلك حيث ينصب إهتمامه على زينة سلاحه وناقته .

والحلي لا شك تزيد من أنوثة المرآة وبهائها وتكون بها موضع تقديم وإعزاز الرجل فرنيق الذهب والفضة الذي ينشأ من إحتكاك السلاسل والأحواس والبلابل والدلايات إلى جانب ما يتميز به معدن الحلي من بريق وأناقة محببة ، كلها عوامل تساهم في إبراز جمال المرآة التلمسانية وتحمل المرآة عادة كمية كبيرة من الحلي

تبدأ من أعلى هامتها حتى كاحلها وأصابع قدميها وقد تعبر أنواع من هذه الحلي عن حالة المرآة إذ كانت فتاة بكر كما نعبر عن مكانتها الإجتماعية وحالتها الإقتصادية .

من خلال " كم " ماتحمله من حلي وفضة وقلما نجد المرء إمرآة عاطلا : أي ليس عليها حلي.

وكان ولا يزال في جل المجتمعات العربية يقدم جانب من مهر العروس في صورة جله تحتفظ بها المرآة وهو يعرف بـ"المهر" وقد تعد هذه العادة المعروفة عند المرآة التلمسانية بصفة خاصة .

وبإضافة إلى كل هذه المكانة الهامة التي يشغلها الحلي نجده يساهم مساهمة فعالة في الجانب التنموي بإعتبار التنمية تشتمل على النمو وعلى التغير لهذا فهي لا تعني بناحية واحدة من نواحي الحياة كناحية الإقتصادية والإجتماعية وإنما تتناول كافة نواحي الحياة في مختلف صورها وأشكالها فتحدث فيها تغيرات عميقة وشاملة وبعبارة أخرى أن التنمية هي عبارة عن النمو المتعمد الذي يتحقق بواسطة المجهودات المخططة والمنظمة ، والتي يقوم بها الأفراد والجماعات لتحقيق أهداف معينة فالحلي التقليدية كانت واحدة من هذه المجهودات التي قام بها أصحاب الحرف أي المختصين في هذا المجال الذي يشكل الساعة بصفة عامة وكان لها مردود تنموي فعال في الجانب الإقتصادي والإجتماعي ، فمن الناحية الإقتصادية نجده يسند على الإستغلال الجيد للموارد بقصد إقامة مجتمع حديث في مقابل يظهر لنا العمل الإجتماعي الذي يقوم على تنظيم الجهود بين شركاء التنمية للمساهمة الفعالة في تعزيز الإنتاجية وإستثمار القدرات والطاقات البشرية وتعظيم الإستفادة من الإمكانيات المتاحة وهذا المزج الإجتماعي والإقتصادي هو الصورة التي تكونها مساهمة الحلي التقليدية في التنمية المستدامة .

* قائمة المصادر العربية المعتمدة *

* القرآن الكريم

قائمة المصادر :

1)إبن خلدون ، المقدمة ، كتاب العبر وديوان مبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من بني السلطان الأكبر ،الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الجزء الثاني .

2)إبن منظور ، لسان العرب ، الجزء الثاني دار المعارف ، د ط ، د ت .

3) الوزان حسن ، وصف إفريقيا ، الجزء الأول .

4)إبن الخطيب ، لسان الدين ، اللمحة البدوية في الدولة النصرية ، دار الكتاب العلمي ، لبنان 2003 .

* قائمة المراجع *

1)إبن الخطيب ، لسان الدين ، اللمحة البدوية في الدولة النصرية ،القاهرة 1347.

2) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، جزء الثامن ، دار البصائر الجزائر 2009 .

3) أبو النعيم محمود ، الرسم والتصميم على المعادن والنحاس ، الطبعة العربية سنة 2007.

4)الحاج محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في تعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995 .

5) الساعاتي حسن ، علم الإجتماع الصناعي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ، بيروت 1970 .

6)الطمار محمد بن عمرو : تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر 1970 .

7)الطمار محمد عمرو : تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 .

8)الطمار محمد : تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر تقديم أ.د عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر 2007 .

9)القيراوني الرفيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنهجي الكعبي دار النشر الكعبي ب ط ، ب ت .

10) الميلي مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، دار النشر ، الجزائر جزء 2 ب ط ، ب ت .

11) الحسن الوزان : وصف إفريقيا محمد حجب ومحمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط2 ،1983 .
12) أندري يونيان ، أندري نوشي ، إيف لاكوست ، الجزائر بين الماضي والحاضر الجزائر 1984 .
13)براهيمي.ك ، مدخل إلى ماقبل التاريخ الجزائري المؤسسة الوطنية للطبع والتوزيع الجزائر 1978 .
14) بن أشنهور عبد اللطيف ، تكون التخلف في الجزائر محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر (1830 /1962) .
15) بن ونيش فريدة ، المجوهرات والحلي في الجزائر فن وثقافة ، وزارة الإعلام الجزائر ، النشرة الثانية 1982.
16) بوعزيز يحي ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991 .
17)تامزالي وسيلة ، رموز ومعاني الحلي في الجزائر ، كتاب الحلي والمصوغات الجزائرية عبر التاريخ ، الجزائر 2007 .
18)جودي محمد حسين ، مبادئ في التربية الفنية وأشغال النحاس .
19)حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394 هـ / 1974 م .
20)حدوش عبد القادر ، أصول الحلي مرحلة ما قبل التاريخ من كتاب الحلي والمصوغات الجزائرية عبر التاريخ ، الجزائر 2007
21) حساني مختار ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية –الجزء الرابع– دار الحكمة ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 .

22)حلاق حسان ، مقدمة في تاريخ العلوم والتكنولوجيا ، دار النهة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، سنة 2007 .
23)رحمة إنطوان ، الفروق الفردية وقياسها وحضارتها بيروت لبنان 1982 .
24)سعيدوني نصر الدين ، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1830 .
25)سامية ، محمد جابر. الفكر الإجتماعي ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط1، سنة1989 .
26) صاري جيلالي ،الإنسان والبيئة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983 .
27) صالح أحمد ، الإعلام الثقافي عنصر في التنمية ، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الدورة العاشرة تونس 1996 .
28) عبدلي لخضر ، التاريخ السياسي للمملكة تلمسان في عهد بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية ، المطبعة الجهوية ، وهران 2008 .
29) عفت ، الشرقاوي . دروس ونصوص في الأدب الجاهلي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، سنة 1979 .
30)عقاب محمد الطيب ، الأواني الفخارية الإسلامية ،دراسة تاريخية فنية مقارنة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 .
31) فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية ، عمرانية إجتماعية ، ثقافية) ، دار النشر موفم الجزائر ، الجزء الأول 2002 .
32) قباري محمد إسماعيل ، علم الإجتماع الحضري مشكلات التهجير والتغيير والتنمية ، منشأة المعارف الإسكندرية ب ط ، ب ت .
33) قباري محمد إسماعيل ، علم الإجتماع المعاصر ومشكلات التنظيم والإدارة والعلوم السلوكية ، منشأة المعارف الإسكندرية ب ط ، ب ت .

34)قاشا ، سهيل . الحلي في وادي الرافدين ، مجلة التراث الشعبي وزارة الثقافة والفنون ، بغداد العدد الثالث السنة التاسعة 1978 .

35) لعرج عبد العزيز ، الزليج في العمارة الإسلامية في العصر التركي دراسة تاريخية فنية المؤسسة الوطنية للكتاب 1990.

36) موسى الصباغ : دراسات في الثقافة الشعبية ، دار الوفاء للطباعة والنشر بدون طبعة ب ت .

37)موصلي جمال الدين ، الجغرافيا الحيوانية دمشق سوريا 1981 .

38) نهى إبراهيم ، خليل إبراهيم ، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية الإقتصادية والسياحية ، دار النشر مؤسسة الشباب الجامعة ،جامعة الإسكندرية ، سنة 2009 .

39) يحي بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991 .

* الكتب المترجمة *

1) أولكر أرغين صول ، ترجمة وتقديم الصفصافي أحمد القطوري ، تطور فن المعادن الإسلامي منذ بداية حتى نهاية العصر السلجوقي ، الطبعة الاولى2005.

2)مارسي جورج ، مدن الفن الشهرة تلمسان ، ترجمة دحماني سعيد ، دار النشر التل البليدة ، الجزائر 2004.

3) بن فوغال ، ت – الحلي الجزائرية تطور الأساليب والتقنيات ، ترجمة معطاوي ، ب ت ، ب ط .

4) إبراهيمي .ك ، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر ترجمة البشير شنتي ورشيد بوروبية ، شركة والتوزيع سنة 1982 .

* قائمة المتنوعات *

1) الطاهر بلقاسم ، الصناعة التقليدية في منبع حوض وادي تافنة(تلمسان) رسالة ماجيستر فرع الانتروبولوجيا 2002/2001 .

2)آيت محند نورية . صناعة الحلي الفنية بالقبائل الكبرى ، منطقة " بني ين " أنموذجا فرع الفنون شعبية جامعة تلمسان 2003/2002 .

3) بن عبد الله نور الدين .الحلي التقليدية لطوارق الهقار ، رسالة ماجيستر فرع الفنون 2001/2000 .

4)قشيوش ، نصيرة . الزفاف في تلمسان ، دراسة فنية أنثروبولوجيا ، مذكرة دكتوراه تلمسان سنة 2010/2009 .

5) شوقي بن عيسى .الصناعة الجلدية بين الإندثار والتفاعل في تلمسان ،رسالة ماجيستر فرع الفنون الشعبية 2003/2002.

* قائمة الدوريات *

مجلات :

1) العربي نجلاء ، مجلة الدوحة السنة السابعة العدد 76 أبريل 1982 م.

2)بولبوط ناصر الدين ، الثقافة الشعبية والتقليدية في الجزائر ، التراث غير المادي الندوة الإقليمية حول تطبيق توصية أبوشكوشأن صون الثقافة التقليدية والشعبية بيروت 10–12 ماي 1999 .

3) محمود حسن سلمان ، الحلي الفضية في جنوب المملكة العربية السعودية . مجلة المتاثورات الشعبية العددان 52/51 ، أكتوبر 1998 .

4) الصناعات التقليدية الجزائرية المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشمارافريل 1998 .

القواميس والمعاجم:

1) حمدي محمد ، مرشد الطلاب قاموس عربي عربي ، دار الأنيس ، وهران ب ت .

2) معني خليل العمر ، معجم علم الإجتماع المعاصر ، دار الشروق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، سنة 2000.

*** ملتقيات ودراسات ***

1) كلمة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة في الجلسات الوطنية لصناعات التقليدية بالصنوير البحري ، الجزائر 21 إلى 23 نوفمبر 2009 .

*المراجع باللغة الفرنسية *

1)Bouali (S.A) les deux grandes sieges de tlemcen ,E.N.A.L alger 1984 .
2)Louisabadi ,tlemcen an passé retrouvé , Jacques Gandini 1994 .
3)Tlmcen au passé rapproché 1937 – 1962 : editionsJacquesGandini , avril 1997 .
4)Forbes , R.J , extracting ,smelting….. OP.CITIDEM .studies In ancient technology .vol.vil.leiden1964 .
5) gilbert ,harryprincipleschinie ,edition parie .1973
6) J.A manduit (mare nostrum) edition du mont blanc 1966.
7) Boubadiba (abelwahb) ; culture et societe publication de L'universite de tunis 1978.

الخرصة " لونايس "

الزروف

التاج يوضع مع الشدة

الجوهر "الشرتلة"

كرافاش بولحية

المسكية

خويمسة

خواتم ومنافخ

المسيبعة

القورمات

البريم "خلخال " لتزين الرجلين

محزمة

أسئلة المقابلة

أ) البيانات الأولية:

1- السن:

2- الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

3- الحالة المدنية:أعزب ☐ متزوج ☐ أرمل ☐ مطلق ☐

4- المستوى التعلمي:بدون مستوى ☐ إبتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐

جامعي ☐ آخر ☐ أذكره؟

5- نوع السكن: فردي ☐ جماعي ☐

6- عدد الإخوة والأخوات:

7- مكانالإقامة:ريفي ☐ شبه حضري ☐ حضري ☐

8- مهنة الأب:

9- مهنة الأم:

10- المستوى التعلمي للأب:

11- المستوى التعلمي للأم:

ب) البعد الأول: الحرفي والحرفة

1- هل أنت صاحب المشروع أم أجير؟

2- مَنْمِنْ عائلتك يمارسون هذا النشاط ؟

3- ماهي النظرة التي كانت لديك قبل ممارستك هذا النشاط ؟

4- كم كان عمرك عندما إلتحاقك بهذه الحرفة ؟

5- لماذا إخترت هذه الحرفة ؟

ج) البعد الثاني: تمثلات الحرفة .

1- ماذا تمثل لك هذه الحرفة ؟

2- كيف ترى أسعار المنتوج حاليا ؟

3- كيف تقيم التجارة في هذه الحرفة ؟

4- من هم الزبائن الأكثر إقبالا لشراء ؟

5- كيف تنظر للإستعمال الحلي من طرف الزبائن ؟

6- كيف تنظر لمستقبل هاته الحرفة ؟

د) البعد الثالث:العوامل المؤثرة في الحرفة .

1- مارأيك في المساعدات التي تقدمها السلطات المحلية ؟

2- كيف ترى للضرائب المفروضة عليك ؟

3- إن كنت تتلقى مساعدات في الإنجاز كيف تنظر إليها ؟

4- إن كنت تلقن هذه الحرفة – ما الدافع إلى ذلك ؟

*الفهـــــــرس *

إهـــــــداء
شكر وإمتنـــــــان
مقدمة 1- 9
الفصل الأول:الصناعات التقليدية مصادرها وأبعادها
تمهيد 11-12
ماهية الصناعات التقليدية 13-26
المفهومات اللغوي والإصطلاحي..... 13-17
ماهية الصناعة المعدنية 17-26
واقع الصناعة التقليدية قبل الإستعمار..... 27-29
واقع الصناعة التقليدية أثناء الإستعمار..... 29-30
واقع الصناعة التقليدية بعد الإستقلال 30-31
مكانة الصناعة التقليدية في الإقتصاد الوطني..... 31-32
التصنيع وأثره على الصناعة التقليدية 32-33
أنواع الصناعات التقليدية في الجزائر 33-35
أ) صناعة الزرابي 34
ب)صناعة الفخار..... 34
ج) صناعة الجلدية..... 35
الأبعاد الانثروبولوجيا في الصناعة التقليدية 36-37
الفصل الثاني : تلمسان والصناعات التقليدية

تمهيد 39
الموقع 40–41
أسماء المدينة ومعانيها 42–47
عناصر المجتمع التلمساني 48–49
الأصول العرقية للمجتمع التلمساني 50–57
أ)العنصر البربري 50–51
ب)العنصر العربي 52–53
ج)العنصر التركي 54
د)عناصر أخرى 55
و)الجند..... ..... 55– 56
اهمية الصناعات التقليدية لدى المجتمع التلمساني..... 57–58
واقع الصناعة التقليدية بالمنطقة 59–63
اهم الصناعات التقليدية بتلمسان..... 64–76
ا)الصناعات الفخارية..... 66-67
ب)صناعة الزرابي 68–70
ج)صناعة الجلود..... 71
د)صناعة الخشب..... 72
هـ)صناعة الفحم..... 73
ر)صناعة زيت الزيتون..... 74
ح)صناعة النحاس..... 75
خ)صناعات أخرى..... 76

الفصل الثالث : مكانة حلي تلمسان بين الحلي الجزائري

تمهيد 78-79
تاريخ ظهور الحلي التقليدية 80
الحلي التقليدي.....81-82
تاريخ الحلي التقليدية الجزائرية 82-83
تعريف الحلي التقليدية 84
أنواع الحلي التقليدية 85-96
أ) من حيث المادة الخام.....85-87
حلي الذهب 85-86
حلي الفضية.....87
ب) من حيت مناطق الإنتاج..... 87-96
حلي القبائلية.....89-92
حلي شاوية.....93-94
حلي الترقية.....94-96
تاريخ الحلي التلمساني 96-97
أنواع الحلي بمنطقة تلمسان..... 97-104
وظائف الحلي التقليدية التلمسانية..... 105-108
وظيفة ترتبط بالغرض السحري.....105-106
الوظيفة الثقافية 106
الوظيفة الإجتماعية.....107
الوظيفة الإقتصادية والسياحية 108

الفصل الرابع : الجوانب الرمزية والتنموية للحلي بمنطقة تلمسان

تمهيد 110
الجانب الإجتماعي للحلي.....111–113
الجانب الثقافي للحلي.....114–115
الجانب الرمزي للحلي 116–120
الجانب التنموي للحلي 120–121

الفصل الميداني:الدراسة الميدانية

خطة البحث الميداني..... 123
تمهيد..... 124
مميزات العينة..... 125
مجتمع البحث..... 126
تحليل عناصر المقابلة.....127 –140
جدول خاص بأنواع المجوهرات الخاصة بالمرأة التلمسانية 141– 143
التعليق على الجدول.....144 – 145
الخاتمة .....146 –148
قائمة المصادر والمراجع 150–159
الملاحق 160–173
أسئلة المقابلة..... 161–162

الملخص:

التراث أفضل صورة للتعبير عن شخصية الأمة ، ووسيلة للتقريب بين الشعوب . ويعتبر الحلي التقليدية مرآة صادقة تعكس واقع الشعوب وتاريخها وعاداتها وتقاليديها ، كما يعتبر السفير الدائم لدى شعوب العالم من خلال عراقتها وأصالتها .

فالحلي التقليدية ليس مجرد رداء مبهر وجذاب ترتديه المرآة التلمسانية ولكنه ذو أهمية كبرى إذ من خلاله نتعرف على عادات وتقاليد البلد التي تؤدى فيها مراسيمه ، فالحلي التقليدية أبرز الأشكال الفنية التي تعبر لنا بصدق عن أصالة أي بلد يكمن فيها والصورة الحقيقية التي تجسد لنا واقع التراث الشعبي .

الكلمات المفتاحية: التراث الشعبي ، الحلي التقليدية ، المساهمة ، منطقة تلمسان ، التنمية المستدامة.

Résumé:

Le patrimoine est la meilleure image expressive de la personnalité d'une nation et un moyen de rapproc her les peuples. Les bijoux traditionnels reflétant peuples leurs histoires,leurs coutumes et leurs traditions, c'est l'ambassadeur des ces peuples à travers son autiquité et son autheuticité.

Bijoux traditionnels ne sont pas seulement une robe éblouissante et séduisante que portent les femmes telemeciennes mais sont d'une grande importance en raison de laquelle identifier les habitudes et les traditions du pays dans lequel sont comménorées leurs cérémonies , le bijousc traditionnel est la forme d'art le plus éminents qui nous exprime réellement l'originalité d'un pays et l'image réelle qui incarne la réalité du folklore.

Mots-clés: folklore, bijoux traditionnels,contribution ,la région de Tlemcen, le développement soutenable.

Summary:

The heritage is the best expressive image of nation's personality ,and a means to bring people each other jewelry reflect the reality of people , their history , their custons and traditions . They are the ambassador of people by their autiquity and autheuticity.

Traditional jewelry is not just a dazzling and attractive role worn by tlemcenien woman but it is of great importance because of which we identifs the habits and the traditions of the country in which cermoires commemorated .

This is the prominet art form that express really the autheuticity of any country and the real image which embodies the reality of the folklore.

Keywords: folklore, traditional jewelry,contribution , region of Tlemcen, sustainable development.